ردود علمية على مآخذ العوام على القرضاوي شيخ الإسلام



المقدمة

كم نسمع من بعض العوام من الإتهامات التي يكيلونها كيلا لشيخ الإسلام فضيلة الإمام العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله، وما يغيظ حقا أن هذه الإتهامات مبنية على تراكمات من الجهل بمنهج الشيخ وتضليل إعلامي لا مثيل له من قنوات إعلامية منسوبة إلى العرب والمسلمين نسبا ومتبرئة من الإسلام والمسلمين فعلا، ومن علماء السلطة الذين لا يبالون أوقعت ألسنتهم على الحق أم على الباطل، فالحق عندهم ما وافق هوى الحاكم وأجهزته المساعدة له، والباطل عندهم ما أبطله هوى الحاكم وأجهزته المساعدة له، فثقتهم عمياء بما يصل إليهم من تقارير من الحاكم وأجهزته، وكأن هذا الحاكم وأجهزته مخلصون أتقياء أنقياء لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم، ضاربين بعرض الحائط آراء وبيانات العلماء من شتى البلاد، معتبرين من خالفهم حاسد أو حاقد يريد الوثب على كراسيهم ومناصبهم اللماعة البراقة ومشككين بنوايا العلماء المخلصين ما دامت أقوالهم لا تناسب أقوال حاكمهم وأجهزته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولذلك كان لزاما على تلاميذ الشيخ القرضاوي حفظه الله أن يبينوا منهج الشيخ القرضاوي ويبطلوا الأكاذيب التي نشرها من نشرها، ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة.

وقد قسمت موضوعات هذا البحث إلى:

1. لهذه الأسباب أحب فضيلة العلامة الإمام يوسف القرضاوي
2. العلامة القرضاوي في عامه الخامس والتسعين ... شيخ الإسلام
3. من فقه العلامة القرضاوي: فقه الواقع، لا تطويع الشرع
4. من فقه العلامة القرضاوي – الإلتزام بالإجماع المتيقن
5. من فقه العلامة القرضاوي: رفض الظلم ورفض الإرهاب
6. العلامة القرضاوي فقيه ثائر قبل ثورات الربيع العربي
7. بعض الأسئلة الشائعة التي دائما ما نسمعها على ألسنة من يهاجمون شيخ الإسلام يوسف القرضاوي حفظه الله، مع أجوبة مركزة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

يحيى عبد الهادي، عضو رابطة تلاميذ القرضاوي

2021 ميلادي، الموافق 1443 هجري

لهذه الأسباب أحب فضيلة العلامة الإمام يوسف القرضاوي

عندما وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كنت أستمع لبعض الدعاة الشباب وهم ينفون صلة أخلاق الإسلام بما وقع من أحداث، وفي نفس الوقت كنت أرى عامة الناس يقولون أن هؤلاء الدعاة يقولون ذلك خوفا على أنفسهم ومستقبلهم. وفي تلك الأثناء لم أكن بعد من متابعي العلامة يوسف القرضاوي. وفي يوم من الأيام حدث أن كنت جالسا على العشاء وإذا بالشيخ يوسف القرضاوي يتكلم على قناة الجزيرة في برنامج الشريعة والحياة عن موضوع الحادي عشر من سبتمبر، فقلت في نفسي "إذا كان هؤلاء الدعاة الشباب خائفون على أنفسهم ومستقبلهم مما يؤثر على ما يخرج عنهم من مواقف كما يقول الناس، فإن هذا الشيخ الكبير في العمر وهو في آخر حياته، لا أعتقد بأنه سيبيع دينه خوفا على دنياه"، ولذلك أصغيت إلى ما قاله الشيخ القرضاوي في تلك الحلقة فدخل كلامه إلى قلبي وعقلي، وأيقنت بأن هذا الإسلام لا يقبل أبدا تلك الأعمال المخلة بأمن المسالمين من الناس. فكانت هذه هي بداية إعجابي بالشيخ وفكره. ولكنني حتى بعد هذه الحلقة لم أبدأ بقراءة كتب الشيخ وموقعه على الإنترنت. وبعد ذلك بفترة عام أو أكثر سمعت أحد زملائي يتكلم عن أن الشيخ القرضاوي قد أباح الغناء والموسيقى بضوابط معينة، فأعجبني ذلك، لأنني أرى كيف أن كثيرا من المتدينين يتشددون كل التشديد في موضوع الغناء، فليس عندهم ضوابط في ذلك بل كله حرام عندهم، فاستدعاني ذلك أن أسأل زميلي عن موقع الشيخ القرضاوي على الإنترنت فأعطاني إياه، فبدأت أقرأ من كتب الشيخ من خلال موقعه، ومن أوائل الكتب التي بدأت بالقراءة منها: كتاب "الحلال والحرام في الإسلام" وكتاب "الإسلام والفن" وكتاب "فقه اللهو والترويح" وكتاب "فتاوى معاصرة" وكتاب "فقه الأولويات" وكتاب "الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف".

وكلما قرأت أكثر كلما أدركت أن فضيلة العلامة يوسف القرضاوي يريد الإسلام الصحيح، الإسلام الصافي، الإسلام النقي، كما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهم خير القرون، قبل أن تدخل فيه الشوائب، والبدع والأهواء والانحرافات، والتشديد والأحوطيات التي تراكمت عبر العصور، فكل عصر كان يضيف من الأحوطيات الشيء الجديد حتى أصبح مجموعها التراكمي آصارا وأغلالا، وهي التي جاء الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم للتخلص منها، كما قال تعالى: "ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم" (سورة الأعراف 157). وقد كان منهج الرسول محمد صلى الله عليه

وسلم هو منهج الوسطية والاعتدال في كل شيء، فقال: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا" (رواه البخاري)

ولذلك لم يرد الشيخ القرضاوي أن يشدد على الناس فيما لم يشدده الله تعالى عليهم، فلا يفتي بالحرمة إلا بما علم تحريمه قطعا بدليل صحيح الثبوت صريح الدلالة من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة.

وقد شد انتباهي ذلك التناسق بين منهج العلامة القرضاوي وبين تطبيقه العملي من فتاوى وآراء. فالشيخ يلتزم مبدأ الوسطية في كل ما يصدر عنه من فتاوى وآراء مبثوثة في كتبه. ولا يحيد عن منهج الوسطية قيد شعرة. وهذا ما يميزه فعلا عن كثيرين من العلماء. لا أقصد بأن الشيخ معصوم، فلا عصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أقصد بأن فضيلة الشيخ القرضاوي له منهج واضح تمام الوضوح كالشمس في كبد السماء، لأنك عندما تقرأ كتبه فإنك تلحظ ملحظا غاية في الأهمية، وهو أن الشيخ لا يشرق تارة ثم يغرب تارة أخرى، بل تأتي كل آراءه وفتاواه متسقة اتساقا تاما مع منهجه الذي شرحه ووضحه في أكثر من كتاب، مثل مقدمة كتابه "فتاوى معاصرة"، وكتاب "الحلال والحرام في الإسلام"، ومؤخرا قام حفظه الله بشرح الوسطية شرحا رائعا مفصلا في كتابه الجميل "فقه الوسطية الإسلامية والتجديد".

المتابع لفتاوى وفكر الشيخ القرضاوي في كتبه ومحاضراته وخطب الجمعة وبرامج التلفزيون يدرك بأن فضيلته يتميز فعلا عن كثير من العلماء، يتميز دائما بملكة فقهية وسطية، فلا تراه ييسر في فتوى ثم يعسر في أخرى، بل يسير دائما وفق صراط مستقيم فلا يشرق ولا يغرب، كما قال تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (سورة البقرة 143)، وقال تعالى "شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية" (سورة النور 35).

هناك بعض العلماء الذين يظهرون على التلفاز أو المذياع، والذين يعلنون مرارا وتكرار بأن منهجهم هو منهج التيسير على عباد الله، تجدهم عند التطبيق يخالفون منهج الوسطية في كثير من الأمور، لأنهم يخلطون بين التيسير والتعسير، فتارة ييسرون في فتوى، وتارة يعسرون في أخرى، فلا تكاد تعرف لهم منهجا واضحا في الإفتاء.

ولأعطي على ذلك مثلا – عندنا هنا في الأردن – إحدى الإذاعات الإسلامية على الراديو والتي يغلب عليها الاعتدال والوسطية، ولها برامج متنوعة، وإحدى هذه البرامج هو برنامج للإفتاء المباشر، يتصل الناس لكي يسألوا، فيجيبهم المفتي الذي أعلن بأن التيسير هو منهج هذه الشريعة، ثم هو نفسه تراه ييسر في فتوى ثم يعسر في أخرى، ومن الأمور التي يفتي فيها بالأحوط أنه يحرم تحريما قاطعا مشاهدة النساء لمباريات كرة القدم بحجة أن اللاعب يلبس فوق الركبة، كما يحرم المسح على الجوربين إلا بشروط شديدة منها أن يكونا سميكين، كما يفتي بوجوب تغطية وجه المرأة قائلا بأن ذلك هو الأولى والأحوط في هذا العصر المليء بالفتن، كما يفتي بحرمة حلق اللحية، كما يفتي بحرمة الغناء للمرأة حتى لو كان ذلك الغناء عبارة عن أنشودة إسلامية كما تفعل المنشدة الفلسطينية ميس شلش، وذلك بحجة أن صوت المرأة من طبيعته النعومة وأن ذلك يؤدي في رأيه إلى الفتنة، كما يوجب الزكاة في ذهب المرأة الذي تستخدمه لنفسها، بحجة أن الأدلة الأقوى هي مع هذا الرأي. أي أن اختيار الأحوط هو الراجح عند ذلك المفتي في الكثير من المسائل. ولكن وللأمانة فقد كان ذلك المفتي يقول دائما بأنه يحترم الآراء الأخرى. وبعد فترة طويلة تم استبدال ذلك المفتي بآخر أكثر تيسيرا على عباد الله، والحمد لله رب العالمين.

أما فضيلة الإمام العلامة القرضاوي، فتراه عالما موسوعيا، فيعرض الأدلة كلها ويرجح بينها بما وفقه الله تعالى من علم واسع وملكة فقهية استحق بها أن يكون فقيه العصر بحق، ويرجح ما يراه أقوى دليلا، وأقوم قيلا، وأهدى سبيلا، بأسلوب علمي دقيق يدخل الألباب والعقول فتشربه وترتوي به. منهج الإمام القرضاوي هو التيسير في الفروع والتشديد في الأصول، فإذا كان هناك رأيان متكافئان أو متقاربان، أحدهما أيسر والآخر أحوط، فإن فضيلته يفتي بالأيسر، وذلك عملا بما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما" (متفق عليه).

إن فضيلة الإمام يوسف القرضاوي لا يمثل شخصه فقط كما قد يتوهم البعض، بل يمثل تيارا عريضا هو تيار الوسطية والاعتدال، فكان للشيخ الفضل الأكبر والأبرز – بعد الله تعالى – في تثبيت منهج الوسطية في هذا العصر، ولذلك يستحق - حفظه الله - لقب "فقيه العصر" ولقب "إمام الوسطية الإسلامية والتجديد". والوسطية لا تعني التنازل عن الثوابت، ولي أعناق النصوص، والتسهيل في كل شيء حتى لو لم تقم الحجة. بل إن فضيلة الشيخ

لا يفتي إلا بدليل قوي معتبر، ومن قرأ كتبه يعرف ذلك. والوسطية كما قال فضيلته هي وضع كل شيء في موضعه، أن تضع اللين في موضع اللين، والشدة في موضع الشدة.

يتميز فضيلة الشيخ القرضاوي – حفظه الله – بحرقة على الدين، وهذه الحرقة لم تأت تصنعا ولا تكلفا، وإنما هي من قلب مؤمن بالله محب للإسلام ولرسول الإسلام. فمثلا أسلوب الكلام للشيخ القرضاوي في برامجه أو محاضراته أو خطب الجمعة ليس أسلوبا تقليديا، فلا تكون خطبته هادئة هدوء الموتى من أولها إلى آخرها، ولا هي إعصار وبركان من أولها إلى آخرها، بل تجده يبدأ الكلام بهدوء وسكينة، ثم وفي أثناء الخطبة إذا تكلم عن شيء يستدعي العزيمة فإنك تجده كالإعصار والبركان في وجه الظلم والطغيان. أليس هذا من الوسطية كذلك؟ بلى، وهذا من وسطية الشيخ حفظه الله وأتم عليه النعمة والصحة والعافية.

أقترح على أصحاب الأموال من الإسلاميين والمخلصين من أمتنا، أن يتشاركوا ويتعانوا على إنشاء قناة تلفزيونية تحمل اسم القرضاوي، وربما يكون ذلك من أسرع الطرق لنشر فكر الشيخ بين جماهير الأمة، هذا الفكر الوسطي المعتدل الذي يجب أن يملأ الآفاق ويدخل في كل بيت. ولا أرى ذلك بعيدا ولا صعبا، فقد رأينا قنوات جميلة مثل "رابعة" و "مكملين" و "مصر 25"، فلماذا لا نرى قناة "القرضاوي" التلفزيونية؟.

وبعد ذلك كله نجد للأسف من الناس من يهاجم فقيه العصر العلامة يوسف القرضاوي:

لقد لاحظت بأن بعض الناس للأسف يستسهلون تجريح العلماء والطعن بهم وحتى الاستهزاء بهم وبنواياهم وعلمهم. ونسي هؤلاء أن العلماء هم ورثة الأنبياء، لم يورثوهم المال بل ورثوهم العلم، علم الدين.

وفي الحديث: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين" (للشيخ القرضاوي شرح لهذا الحديث في كتابه "المدخل لدراسة السنة النبوية" ص 95 - 98)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (رواه أبو داود والحاكم والبيهقي وغيرهم، وصححه العراقي والسيوطي)، أي يجدد الفهم لهذا الدين ويجدد الإيمان والعمل به، فترجع

الأفهام صافية نقية لا تكدرها الشوائب (وللشيخ القرضاوي شرح مفصل لهذا الحديث في كتابه "من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا" ص9 - 36).

كما لم يخل عصر من العصور من المجددين ومن القائمين بالحجة.

وألخص أسباب هجوم بعض الناس على فقيه العصر يوسف القرضاوي في ثلاثة أسباب، كما يلي:

1- الجهل بحقيقة الشيخ

فالكثير منا لا يقرأ، مع أننا أمة "إقرأ"، وهناك من يقرأ النصوص من غير مصادرها الأصلية فتكون إما منقوصا منها أو مضافا عليها بعض المبالغات. والبعض حتى إن قرأ النصوص من مصادرها يقرأها مجتزأة على غرار "لا تقربوا الصلاة" دون أن يقرأ النص كاملا حتى يستوعب ما قصده الشيخ. وبعض الناس يحكمون على العناوين دون قراءة التفاصيل، وبعض الصحف ووسائل الإعلام يهمها جذب القارئ حتى لو كان ذلك على حساب تحري الدقة والمصداقية في نقل المعلومة، فتراها تكتب عنوانا جاذبا يشد انتباه الناس، ومن وسائل الإعلام من تضيف أيضا على التفاصيل بعض الأساليب حتى يتلذذ القارئ ويستمتع وينجذب وبالتالي يحقق الموقع متصفحين أكثر مما يؤدي إلى زيادة إيراد ذلك الموقع أو المؤسسة.
وبالنسبة لي، فإنه قبل أن أطلع على موقع الشيخ على الإنترنت وقبل أن أبدأ بقراءة كتبه، كنت أسمع بعض الناس يتكلمون عنه وكنت أقرأ الكثير من الأشياء المكتوبة ضده في الإنترنت بما تحتويه من استهزاء وتجريح، ولكنني بعدما بدأت أقرأ من موقعه على الإنترنت وبعدما بدأت بقراءة كتبه فإنني أيقنت حقيقة بأن هؤلاء الناس ظلموا الشيخ يوسف القرضاوي ظلما فاحشا، فعند قراءة الإنسان المنصف لكتبه فإنه لا يملك إلا أحد أمرين اثنين: إما أن يقتنع برأي الشيخ، أو أن يحترم رأي الشيخ وإن لم يقتنع، وذلك لأن فضيلته يفصل الفتوى بالأدلة والتفصيل فيذكر أدلة المعارضين ويشرحها ثم يبين الأدلة الأخرى ويشرحها ويبين بالنهاية ما وصل إليه اجتهاده بالترجيح بين الأدلة، وتلحظ مثلا ذلك في كتابه "فقه الجهاد" وكتابه "فقه الزكاة" وكتابه "فتاوى معاصرة" وكتابه "الحلال والحرام في الإسلام" وغيرها الكثير. الشيخ القرضاوي هو صاحب فكرة إنشاء الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين

بالرغم مما واجهه من عقبات في سبيل ذلك ومعارضة بعض الدول في استضافة مقر الإتحاد على أراضيها، ولكن وبحمد الله استطاع مع زملائه العلماء من إنشاء هذا الاتحاد والذي يتولى العلامة القرضاوي رئاسته، وهو اتحاد ليس تابعا لأي سلطة رسمية أو حكومة، ويضم أكثر من 80 ألف عالم مسلم من جميع أصقاع الأرض. كما يرأس القرضاوي أيضا المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، كما يرأس كذلك مجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية الذي كان هو أيضا أحد مؤسسي هذه المؤسسة، كما قام والحمد لله بإثراء المكتبة الاسلامية المعاصرة بكتبه التي زادت على 200 كتاب.

فمثلا، كتابه "فقه الجهاد" هو كتاب موسوعة قارب الألف وخمسمئة صفحة، وبين فيه حقيقة الجهاد في الاسلام ورد فيه على الإرهابيين الذين يزعمون بأن عملياتهم الإرهابية من الجهاد، فرد عليهم بالأدلة فذكر أدلتهم التي يستندون إليها في تبرير أفعالهم وشرح تفسيرها الحقيقي وكيف أنهم أساؤوا فهمها وتطبيقها، كما رد في هذا الكتاب على الذين يريدون إماتة روح الجهاد في الأمة، فرد فيه على المغالين المتشددين ورد فيه على المفرطين المضيعين. ومن كتبه كذلك كتاب "الحلال والحرام في الاسلام" و "فقه الزكاة" و"فقه الوسطية الإسلامية والتجديد"، و "القدس قضية كل مسلم"، و "وجود الله"، و "حقيقة التوحيد"، و "فقه الغناء والموسيقى"، و "الإسلام والفن"، و "فقه اللهو والترويح"، و"الإيمان والحياة"، و"ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده"، و "شمول الاسلام"، و "زراعة الأعضاء في ضوء الشريعة الاسلامية"، و "من فقه الدولة في الاسلام"، و "الفتاوى الشاذة"، و "الاجتهاد في الشريعة الاسلامية"، و "الدين والسياسة"، و "تاريخنا المفترى عليه"، و "خطابنا الإسلامي في عصر العولمة"، و "ثقافة الداعية"، و "عوامل السعة والمرونة في الشريعة الاسلامية" و "موجبات تغير الفتوى في عصرنا"، و "الإسلام والعلمانية وجها لوجه" و " أعداء الحل الاسلامي " و"الحل الإسلامي فريضة وضرورة" و "الحلول المستورة وكيف جنت على أمتنا" و "الأمة الاسلامية حقيقة لا وهم"، و "المبشرات بانتصار الاسلام"، و "شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان" و "الخصائص العامة للإسلام" و "العبادة في الإسلام" و "كيف نتعامل مع القرآن العظيم" و "كيف نتعامل مع السنة النبوية"، و "فقه الأولويات" و "أولويات

الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة" و "الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف" و "الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم" و "الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد" و "الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي" و "نحو صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا" و "الوقت في حياة المسلم" و "رعاية البيئة في الشريعة السلامية" و "مركز المرأة في المجتمع الإسلامي" وغيرها الكثير.
والكثير من هذه الكتب موجود مجانا على موقع الشيخ على الإنترنت:
https://www.al-qaradawi.net

كما أن فضيلة الشيخ القرضاوي هو أحد العلماء الربانيين القلائل الذين استطاعوا الجمع بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر. كما أنه لا يتبع لأي حكومة أو سلطات رسمية، وقد قال أكثر من مرة عن نفسه بأنه لا يصلح أن يكون من علماء السلطة ولا من عملاء الشرطة. إن الشيخ القرضاوي عالم رباني يقول كلمة الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، فقد انتقد قطر - التي يعيش فيها - على استضافتها للقواعد الأمريكية، كما انتقدها على فتح مكتب لإسرائيل في ذلك الوقت (والمكتب لم يعد قائما فقد تم إغلاقه على إثر حرب إسرائيل على قطاع غزة عام 2009)، وانتقدها كذلك على استضافتها لبيريس، وقال من على المنبر في خطبة الجمعة في ذلك الوقت: "على الذين صافحوا بيريس أن يغسلوا أيديهم سبع مرات إحداها في التراب"، وأكد بأنه خلال مدة مكوثه في قطر لم يقل له أحد بأن هناك خطوطا حمراء لا يجب له أن يتكلم فيها أو يتجاوزها، فهو يقول ما يؤمن به بحرية ودون ضغط أو تخويف من أي أحد.

كما رأينا فضيلته يدافع عن جميع الثورات العربية في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا. كما كتب فضيلته ردا علميا مفصلا على كل من شيخ الأزهر د. أحمد الطيب، ومفتي مصر السابق علي جمعة، وذلك ردا على تأييدهما للانقلاب العسكري المجرم في مصر الحبيبة. وقد تم نشر تلك الردود في كتاب اسمه "ردود علمية على شيخ الأزهر ومفتي العسكر".

2- الظاهريون الجدد

الظاهريون هم من يأخذون الأشياء على ظاهرها الحرفي دون النظر إلى العلة والسبب. فينقصهم التعمق في فقه المقاصد، وربما اعتقدوا بعض الأمور قطعية بينما هي أمور خلافية ليس عليها إجماع متيقن، وجهلوا أنه لا إنكار في المسائل الخلافية، فأئمة المذاهب الأربعة اختلفوا فيما بينهم ولكنهم لم يهاجموا ولم يجرحوا بعضهم بعضا بل التزموا أدب الخلاف وصلى بعضهم خلف بعض ولم يكن في صدورهم حقدا ولا كراهية. كما أن المجتهد ملزم بأن يفتي بما وصل إليه اجتهاده، وليس بأن يتنازل عن اجتهاده لإرضاء الناس. فإذا أصاب المجتهد فله أجران: أجر الصواب وأجر الاجتهاد، وإن أخطأ فله أجر واحد: وهو أجر الاجتهاد.

3- المفرطون

المفرطون الذين لا يهمهم حلال من حرام، قد لا يعجبهم الشيخ، فالشيخ القرضاوي كما شرح في مقدمة كتابه "فتاوى معاصرة" لا يقصد بالتيسير لوي أعناق النصوص رغما عنها لاستخراج التيسير للناس، وإنما تيسيرا يتماشى مع الروح العامة للإسلام، تيسيرا لا يعارض نصا شرعيا ثابتا محكما ولا قاعدة شرعية قاطعة، ولذلك حرم التدخين تحريما قاطعا لأنه يخالف نصوص شرعية ثابتة محكمة، كما حرم كذلك فوائد البنوك الربوية لأنها تعارض نصوص ثابتة قاطعة.

جمعنا الله بعلماء الأمة الربانيين، ومع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. اللهم آمين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

العلامة القرضاوي في عامه الخامس التسعين ... شيخ الإسلام

كتبت هذه الكلمات بمناسبة إتمام فقيه عصرنا العلامة يوسف القرضاوي عامه الخامس والتسعين (يتمه بتاريخ التاسع من أيلول من عام 2021 ميلادي) 95 عاما مليئة بالدعوة والإنجاز والعمل الدؤوب لخدمة هذا الدين العظيم وخدمة هذه الأمة الإسلامية من مشارق الأرض ومغاربها، والعمل للنهوض بهذه الأمة في كل مجال من المجالات الدينية والدنيوية.

العلامة القرضاوي حفظه الله كتب في جميع مجالات الفقه الإسلامي مثل فقه الزكاة، وفقه الصيام، وفقه التيسير في الحج والعمرة، والاقتصاد الإسلامي، والحلال والحرام في الإسلام، وفقه الوطن والمواطنة، ومن فقه الدولة في الإسلام، وفقه الجهاد، وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، والعلمانية، وحتمية الحل الإسلامي، والصحوة الإسلامية، وفتاوى معاصرة، وقضية فلسطين والقدس، وتاريخنا المفترى عليه، وغيرها الكثير.

من يحب الشيخ القرضاوي ويعترف بكعبه العالي في العلم لهو من المستنيرين المنصفين حقا. فمن أحب هذا العالم الرباني لا بد وأنه أدرك معنى العلم. ومن أحب الشيخ لا بد وأنه عرف معنى الوسطية الإسلامية والتي أشارت لها السنة النبوية في أحاديث كثيرة ولكن بألفاظ أخرى مثل كلمة "القصد"، مثل قوله صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة الذين رآهم يغالون في العبادة: "عليكم هديا قاصدا، عليكم هديا قاصدا، عليكم هديا قاصدا، فإنه من يشاد الدين يغلبه"، ومن قرأ كتب الشيخ العلامة يوسف القرضاوي سيعلم تماما المقصود بالوسطية الإسلامية، فالشيخ القرضاوي حفظه الله هو أفضل من شرح الوسطية الإسلامية في محاضراته وبرامجه وخطبه وكتبه، مثل كتابه الشهير "الحلال والحرام في الإسلام" والذي صدر منه مؤخرا نسخة جديدة وموسعة فيها من التفصيلات والردود العلمية البالغة الأهمية والتي زادت من القيمة العالية للكتاب، فلم يدع الشيخ حفظه الله أي فجوة كانت في النسخة السابقة إلا سدها وأزال سوء فهم البعض عنها، فاحتوت على ردود رائعة وعلمية دقيقة أنصح الجميع بقراءتها، إذ احتوت النسخة الجديدة ردودا علمية دقيقة ومفصلة على انتقادات الشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبد الحميد طهماز، ومقدم طبعة الاعتصام، كما شملت ردودا على تحفظات الشيخ الألباني والشيخ ابن باز رحمهما الله.

نعم فإن كتاب "الحلال والحرام في الإسلام" من روائع ما كتبه الشيخ القرضاوي حفظه الله ومن أكثر الكتب قربا إلى القلب، وكذلك فإن من روائع ما كتبه الشيخ من كتب وأحبها إلى قلبي كتاب "فقه الزكاة"، وكتاب "فقه الجهاد"، و كتاب "كيف نتعامل مع السنة النبوية"، وكتاب "كيف نتعامل مع القرآن العظيم"، وكتاب "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف"، وكتاب "الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد"، وكتاب "في فقه الأولويات"، وكتاب "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي"، وكتاب "فقه الغناء والموسيقى"، وكتاب "الإسلام والفن"، وكتاب "فقه اللهو والترويح"، وكتاب "موجبات تغير الفتوى في عصرنا" وكتاب "فتاوى معاصرة" وغيرها. وقد وصلت كتب الشيخ حتى اللحظة أكثر من 200 كتاب.

وكذلك أنصح بقراءة كتابه الجميل والقيم المسمى ب "فقه الوسطية الإسلامية والتجديد"، والذي استشهد به الشيخ بكلام العلماء الكبار رحمهم الله أمثال ابن تيمية، وابن القيم، وأبي حامد الغزالي، وابن الجوزي وغيرهم من علماء الإسلام في القرون السابقة، وكذلك استشهد بوسطية العلماء المعاصرين أمثال محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ومحمود شلتوت، ومحمد المدني، ومحمد عبد الله دراز، ومحمد الخضر حسين، وعبد الحميد بن باديس، والطاهر بن عاشور، وعلال الفاسي، وحسن البنا، وعبد الجليل عيسى، وأحمد إبراهيم، وعبد الوهاب خلاف، وعلي الخفيف، ومحمد أبو زهرة، وجمال الدين القاسمي، وطاهر الجزائري، ومصطفى السباعي، ومصطفى الزرقا، وعلي الطنطاوي، ومحمد الغزالي.

إنني أرى بأن من يحب العلماء ولكنه لا يحب أو لا يرتاح للشيخ القرضاوي، فهو كمن أحب فرع الشجرة ولم يأخذ بأصلها، فإنني أشبه العلماء بفروع الشجرة والشيخ القرضاوي بأصل تلك الشجرة وجذعها القوي الذي يمد الفروع بمصادر القوة والاستمرار. فلقد رأيت بعض الشباب يحب من العلماء من هم تلاميذ للشيخ القرضاوي ولكنني أرى ذلك الشاب لا يرتاح للشيخ القرضاوي، فهذا الشاب لا يعلم بأن من أحبه من العلماء هو أصلا من تلاميذ الشيخ القرضاوي ومحبيه. وأضرب على ذلك أمثلة، فالكثير من الشباب يحبون الشيخ عمر عبد الكافي حفظه الله (وهو شيخ حبيب على قلوبنا جميعا وهو على رؤوسنا) ولكن الكثير من هؤلاء الشباب لا يعلم بأن الشيخ عمر عبد الكافي من تلاميذ العلامة القرضاوي، وإن شئت أيها الشاب الكريم والأخ الحبيب فبإمكانك أن تسمع الشيخ عمر عبد الكافي وهو يمدح

الشيخ القرضاوي وعلو كعبه في العلم والفقه على الرابط التالي على اليوتيوب (الشيخ عمر عبدالكافي يبكي عند ذكر العلامة القرضاوي)

وكذلك إلى من يحب الشيخ الددو حفظه الله (وهو حبيب على قلوبنا جميعا وهو على رؤوسنا)، فبإمكانك أن تسمع الشيخ الددو وهو يصف الشيخ القرضاوي بأنه وصل إلى المرتبة العليا في الفقه والإجتهاد وهي مرتبة الإجتهاد المطلق، وذلك على الرابط التالي على اليوتيوب (الشيخ الددو يخبر بأن الشيخ القرضاوي هو مجتهد العصر)

وكذلك إلى من يحب الشيخ سلمان العودة حفظه الله (وهو حبيب على قلوبنا جميعا وهو على رؤوسنا) فبإمكانك أن تسمع الشيخ سلمان العودة وهو يمدح بالشيخ القرضاوي وعلمه، وذلك على الرابط التالي على اليوتيوب (د. سلمان العودة : د. القرضاوي الذي عرفت)

وكذلك إلى من يحب الشيخ عصام البشير حفظه الله (وهو حبيب على قلوبنا جميعا وهو على رؤوسنا) فبإمكانك أن تسمع الشيخ عصام البشير وهو يمدح بالشيخ القرضاوي وعلمه، وذلك على الرابط التالي على اليوتيوب (القرضاوى للدكتور عصام البشير)

وكذلك إلى من يحب الشيخ أكرم كساب حفظه الله (وهو حبيب على قلوبنا جميعا وهو على رؤوسنا) فبإمكانك أن تسمع الشيخ أكرم كساب وهو يمدح بالشيخ القرضاوي وعلمه، وذلك على الرابط التالي على اليوتيوب (الدكتور أكرم كساب يتحدث عن العلامة الشيخ يوسف القرضاوي)

وكذلك إلى من يحب الشيخ عصام تليمة حفظه الله (وهو حبيب على قلوبنا جميعا وهو على رؤوسنا) فبإمكانك أن تسمع الشيخ عصام تليمة وهو يمدح بالشيخ القرضاوي وعلمه ويبين مواقف الشيخ الرائعة في حياته، وذلك على الرابط التالي على اليوتيوب (الشيخ عصام تليمة وجوانب مجهولة من حياة العلامة القرضاوي .. مع زوبع - مكملين)

وكذلك إلى من يحب الدكتور عدنان إبراهيم هداه الله من بعض انحرافاته الفكرية، فبإمكانك أن تسمع الخطبة الكاملة للدكتور عدنان إبراهيم وهو يمدح بالشيخ القرضاوي وعلمه ويبين مواقف الشيخ الرائعة في حياته، وذلك على الرابط التالي على اليوتيوب (د.عدنان ابراهيم - دفاع عن القرضاوي, دفاع عن العلم والدين)

نعم فالعلامة القرضاوي هو شيخ الإسلام، وإمام الوسطية، وتاج العلماء، والعالم الإسلامي الرائد، وأكثر العلماء موسوعية في العلم والفقه، وقد وصفه العلامة الددو بأنه الوارث الأول لرسول الله. وأنا أنتظر مع غيري من محبي العلامة القرضاوي قرب صدور كتابه عن التكفير، وكتابه عن الفقه الجنائي في الإسلام، وكذلك المجلد الخامس من كتابه فتاوى معاصرة، وأيضا كتابه عن تيسير الفقه في الحج، وأيضا سلسلة الأعمال الكاملة التي تجمع كل كتب الشيخ في موسوعة كبيرة تصل إلى 113 مجلدا، كل مجلد يتكون من 600 صفحة تقريبا.

أقول للشيخ العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله في عامه التسعين، بارك الله بك وجزاك عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وبارك الله لك في عمرك ووقتك وصحتك، وأظلك الله وأظلنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وحشرك الله وإيانا مع الرسل والأنبياء والصحابة والشهداء والعلماء الربانيين والصالحين، وأدخلك الله وإيانا الفردوس الأعلى بجوار حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بلا سابقة عذاب ولا سابقة حساب. وأردد دعاء والدتك رحمها الله بأن "يجعل الله في وجهك جوهرة وفي فمك سكرة وأن يحبب فيك الحصى في الأراضي، ويحبب فيك الرحمن في عرشه والجندي في فرشه".

من فقه العلامة القرضاوي: فقه الواقع، لا تطويع الشرع

أول مرة عرفت فيها مصطلح "تطويع الشرع" كانت في نهاية عام 2010، وهو مصطلح يبدو أن بعض الناس يستخدمونه ويقصدون به: "النزول من مستوى الإسلام إلى مستوى الواقع، بدلا من الارتقاء والنهوض بالواقع إلى مستوى الإسلام".

وبالتالي فإن "تطويع الشرع" يرفضه كل مسلم عاقل يفهم دينه فهما صحيحا ويغار على دينه.

فقيه العصر العلامة يوسف القرضاوي لم يدعو أبدا إلى تطويع الشرع كما يدعي البعض، بل دعا المجتهدين الذين يتصدون للفتوى إلى فهم الواقع وفهم الحياة والناس، وهو ما يطلق عليه "فقه الواقع". وأحد الشروط التي وضعها الفقهاء للمجتهد هو شرط معرفة الحياة والناس، لأنه لا يكفي أن يكون المجتهد قارئا للكتب بينما يكون منعزلا عن الواقع، فلا بد له من فقه الواقع وإلا فإن كثيرا من آرائه وفتاواه ستكون مجانبة للصواب.

تطويع الشرع شيء وفقه الواقع شيء آخر تماما. إلا أنه وللأسف نجد من الناس من تختلط عليه الأمور فيظن فقه الواقع وكأنه علامة من علامات تطويع الشرع. وللدلالة على مدى الفرق الشاسع بين تطويع الشرع وفقه الواقع، فإنه لا بد من ذكر بعض الأمثلة لكل منهما.

من الأمثلة على تطويع الشرع:

1. تبرير الواقع بخيره وشره
2. تبرير كل ما يقوم به الحاكم حتى وإن كان مخطئا بحجة طاعة ولي الأمر
3. إباحة السلام وتطبيع العلاقات التجارية والاقتصادية مع إسرائيل
4. تبرير المغالاة في المهور وتبرير المغالاة في تكاليف الزواج
5. إباحة فوائد البنوك الربوية
6. استحلال الحرام المقطوع به، مثل أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، والمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث، وكل ذلك بدعوى مسايرة التطور. وهؤلاء هم عبيد التطور الذين أشار العلامة القرضاوي إلى زيف ادعاءاتهم في كتابه "من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا" تحت عنوان: "عبيد التطور لا يقفون عند

حد". كما رد العلامة القرضاوي على من يريد مساواة الميراث بين الذكر والأنثى في كتابه "الفتاوى الشاذة" ص30 – ص34

7. إلغاء تعدد الزوجات
8. الغلو في اعتبار المصلحة ولو على حساب النص، وهذا ما كتب عنه العلامة القرضاوي بالتفصيل في كتابه "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية" تحت عنوان " الغلو في اعتبار المصلحة ولو على حساب النص"
9. إلغاء الحدود الشرعية بدعوى عدم صلاحيتها لهذا العصر

من الأمثلة على فقه الواقع:

1. عندما سمع الرسول الكريم أن الصحابي معاذ رضي الله عنه قد أطال الصلاة بالناس، قال صلى الله عليه وسلم: "أفتان أنت يا معاذ". كررها ثلاثا. ([1])
2. وقوله صلى الله عليه وسلم فيمن أطال الصلاة بالناس: "أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز، فإن فيهم الكبير، والضعيف، وذا الحاجة" ([2])
3. وقوله صلى الله عليه وسلم: "إني لأدخل في الصلاة أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف، لما أعلم من شدة وجد أمه به" (رواه مسلم)
4. وقوله صلى الله عليه وسلم في الحج لكل من جاءه وسأله فعلت كذا وفعلت كذا، فكان يقول لهم: إفعل ولا حرج
5. وعندما قام الصحابة للأعرابي الذي بال في المسجد، نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: لا ترزموه (أي لا تقطعوا عليه بولته) وصبوا عليه ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين" (متفق عليه)
6. سمح صلى الله عليه وسلم للحبشة أن يرقصوا بحرابهم يوم العيد في مسجده الشريف، وقال: "حتى يعلم يهود أن في ديننا فسحة، وإني بعثت بحنيفية سمحة" (رواه أحمد في المسند (24855) عن عائشة، وقال مخرجوه: حديث قوي وهذا سند حسن)
7. حديث عائشة الصحيح المتفق عليه، فعن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان تغنيان بدفين، وتغنيان في أيامهما، ورسول الله صلى الله

1 متفق عليه
2 متفق عليه

عليه وسلم مستتر بثوبه، فنهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله ثوبه، وقال: "دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد"

8. روى البخاري وأحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة، ما كان معهم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو"
9. سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوقف العمل بحد السرقة في عام الرمادة، وذلك لأن السرقة في ذلك الظرف قد تحدث مظنة الجوع، أي أن شروط إقامة الحد لم تتوافر حتى يقيمه على الناس.

إن العالم الذي يفتي من دون معرفة بالواقع وفهم الحياة وما فيها من اتجاهات مختلفة، فإنه غالبا ما سوف يعسر على الناس فيما لم يشدده الله تعالى عليهم. وقد ذكر العلامة القرضاوي في كتابه "الإجتهاد في الشريعة الإسلامية" تحت عنوان "الغفلة عن واقع العصر"، ذكر بعض الأمثلة على الفتاوى التي تصدر منعزلة عن الواقع، مثل تحريمهم للذبح الآلي بالرغم من الحاجة الماسة إليه خاصة في الدول المصدرة لمئات الألوف من المواشي، وتحريمهم للتصوير الفوتوغرافي، والتلفزيون، وتحريمهم لأطفال الأنابيب، وإباحتهم للتدخين بعد أن أصبح القاصي والداني يدرك مخاطره وسمومه.

ومن ناحية أخرى، قد يفتي المجتهد بشيء كان يناسب العصور التي صدرت بها الفتوى ولكن لا تناسب العصر الذي نعيشه، ومثال ذلك الفتاوى التي تحرم أن نقول للنصارى في أعيادهم "كل عام وأنتم بخير"، أما الآن في هذا الزمان، هل من الطبيعي أن يقول المسيحي لأخيه المسلم في عيد الفطر أو الأضحى "كل عام وأنت بخير" بينما لا يقول المسلم ذلك لأخيه المسيحي في عيده؟، هل هذا السبيل في الدعوة إلى الله يناسب العصر الحالي؟. لقد قرر العلماء من قديم بأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال، وهذا طبعا فيما هو قابل للاجتهاد فقط، أي في الأمور التي تقع في دائرة الفروع (الظنيات) التي ليس فيها نص صحيح صريح (فليرجع إلى كتاب "موجبات تغير الفتوى في عصرنا" للعلامة يوسف القرضاوي).

وقد ذكر العلامة القرضاوي في كتابه "الفتاوى الشاذة" ص60 – ص88، ذكر بعض الفتاوى الشاذة التي كان سببها تصور الواقع على غير حقيقته، ورد عليهم بأسلوب علمي

راق، ومن تلك الفتاوى الشاذة فتوى الإمام الألباني في وجوب الهجرة من فلسطين بدعوى أنه يجب على الفلسطينيين أن يخرجوا من الأرض التي لم يتمكنوا من طرد الكفار منها إلى بلد يتمكنون فيه من إقامة شعائرهم الإسلامية، وكذلك فتوى مفتي مصر الأسبق الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي في إباحة فوائد البنوك الربوية بدعوى أن هذه البنوك لا تقوم على الربا وإنما هي وكيل يأخذ المال ويستثمره فيما أحل الله، وفتوى ابن باز في جواز الصلح مع إسرائيل بدعوى أن إسرائيل جنحت للسلم وأن هذه هدنة جائزة وإن لم تحدد بمدة عند بعض الأئمة. ولم يشكك الشيخ القرضاوي في نوايا هؤلاء العلماء، ولم يقلل من شأنهم، بل يحترمهم ويعترف لهم بفضلهم ومكانتهم العلمية، وهذا من فقه شيخنا القرضاوي وأدبه مع من يخالفهم، وإنما قام الشيخ القرضاوي حفظه الله بتوضيح كيف أن هؤلاء العلماء تصوروا الواقع على غير حقيقته فجاءت فتاواهم تبعا لذلك التصور الخاطئ. وهنا تأتي أهمية أن يفهم العالم المجتهد الواقع كما هو، وإلا كانت فتواه في موضوع آخر. كما ناقش الشيخ القرضاوي فتوى الطنطاوي في إباحة فوائد البنوك الربوية، ناقشها مناقشة مطولة في كتابه القيم "فوائد البنوك هي الربا الحرام".

يتبين لنا من كل ذلك أن الشيخ القرضاوي لا يعمل على تطويع الشرع، وإنما يدعو إلى فهم الواقع فهما دقيقا بما فيه من تيارات واتجاهات وتغييرات.

لقد اختلط الأمر على بعض الناس الذين هاجموا مفهوم التيسير الذي دعا إليه الشيخ القرضاوي في كتبه ومحاضراته، فزعموا أنه يريد تيسيرا بلوي أعناق النصوص ومجاملة الكفار على حساب المسلمين ومسايرة الواقع المتطور، إلى آخر ما يقال في هذا الكلام، ولذلك فهم يزعمون أن الشيخ القرضاوي يعمل على تطويع الشرع، ولكن هذا ليس صحيحا، فقد شرح الشيخ القرضاوي المقصود من التيسير في كتابه الرائع "فقه الوسطية الإسلامية والتجديد" ص 124 – ص 133 وكذلك في كتابه "الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد"، فوضح ما يقصده من التيسير في جملة أمور، ألخصها كما يلي:

1. مراعاة جانب الرخص:

فقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته" (رواه أحمد في المسند (5866)، وقال مخرجوه: صحيح، وابن خزيمة في الصيام (2027)، وابن حبان في الصلاة (2742)، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي، عن ابن عمر).

وفي حديث آخر: "إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه " (رواه ابن حبان في البر والإحسان (354)، وقال شعيب: إسناده صحيح، والطبراني في الكبير (323/11) عن ابن عباس).

وقال الإمام سفيان الثوري: "إنما الفقه: الرخصة من الثقة، أما التشديد فيه: فيحسنه كل أحد".

2. تقديم الأيسر على الأحوط:

فمنهج الإمام القرضاوي هو منهج التيسير في الفروع والتشديد في الأصول، فإذا كان هناك رأيان متكافئان أو متقاربان في قضية، فإن الشيخ القرضاوي حفظه الله يفتي بالأيسر، وذلك عملا بما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما" (متفق عليه)

3. التضييق في الإيجاب والتحريم: فلا يفتي بالإيجاب أو الحرمة إلا بدليل صحيح صريح. أما الذين يتوسعون في الإيجاب والتحريم بأدنى دليل، فإنهم يعسرون على الناس فيما لم يشدده الله تعالى عليهم.

4. التيسير فيما تعم به البلوى:

وقد وضح الشيخ القرضاوي بأنه لا يعني ذلك أن يحل الحرام المقطوع به مثل الربا وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وإنما يعني التيسير فيما عمت به البلوى من الأمور القابلة للاجتهاد، أي التي ليس فيها نص صحيح صريح. وذكر على ذلك أمثلة، مثل فتواه للناس وبخاصة لمن هم في الأرياف بأن كل ما يؤكل لحمه فبوله وروثه طاهر.

وذكر الشيخ أن على المفتي الذي يختار الرأي الأثقل أن يشير إلى الرأي الأيسر أيضا، وذلك لعدة أسباب: فذلك يعتبر من الأمانة العلمية، وأيضا حتى لا يتم الإنكار على المخالفين، إذ لا إنكار في المسائل الخلافية، وكذلك للإبقاء على الضمير الديني لمن يأخذ بالرأي الأيسر. وذكر الشيخ مثالين على ذلك: مثل الذين يفتون بحرمة حلق اللحية تحريما قاطعا دون الإشارة إلى الرأي الأيسر، وكذلك من يفتون بحرمة إطالة الثوب إلى أسفل الكعبين واعتبار فاعله في النار، دون أن يشيروا كذلك إلى الرأي الأيسر.

5. مراعاة قواعد الشرع الميسرة: ومن تلك القواعد:

- الضرورات تبيح المحظورات، ويتممها: ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.
- الحاجة قد تنزل منزلة الضرورة، والمشقة تجلب التيسير
- ما حرم لذاته: لا يباح إلا للضرورة، وما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة
- المشقة تجلب التيسير

إلى آخر تلك القواعد الشرعية التي أصلها الفقهاء من جميع المذاهب.

إن الذين يزعمون أن الشيخ القرضاوي يعمل على تطويع الشرع، لا بد لهم من التعمق في فهم السنة النبوية حتى يفهموها فهما متكاملا، بدلا من اجتزاء فهم السنة.

لقد قرأت في كتاب "كيف نتعامل مع السنة النبوية" للعلامة القرضاوي ما يفتح المدارك ويشرح الصدور، فقد شرح الشيخ بالتفصيل منهجه في فهم السنة النبوية تحت عنوان (معالم وضوابط لحسن فهم السنة النبوية) ص 111– ص200، وهذه المعالم هي: فهم السنة في ضوء القرآن الكريم، وجمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد، والجمع أو الترجيح بين مختلف الحديث، وفهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصدها، والتمييز بين الوسيلة المتغيرة والهدف الثابت للحديث، والتفريق بين الحقيقة والمجاز في فهم الحديث، والتفريق بين الغيب والشهادة، والتأكد من مدلولات ألفاظ الحديث.

وعندما تحدث الشيخ القرضاوي في الكتاب عن معلم "فهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصدها"، ذكر عدة أمثلة على ذلك، منها "سفر المرأة بلا محرم" ص149، فكان مما قاله حفظه الله: (ومن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس وغيره مرفوعا: "لا تسافر امرأة إلا ومعها محرم"، فالعلة وراء هذا النهي هي الخوف على المرأة من سفرها وحدها بلا زوج أو محرم في زمن كان السفر فيه على الجمال أو البغال أو الحمير، وتجتاز فيه غالبا صحاري ومفاوز تكاد تكون خالية من العمران والأحياء، فإذا لم يصب المرأة – في مثل هذا السفر - شر في نفسها أصابها في سمعتها. ولكن إذا تغير الحال – كما في عصرنا – وأصبح السفر في طائرة تقل مائة راكب أو أكثر، أو في قطار يحمل مئات المسافرين، ولم يعد هناك مجال للخوف على المرأة إذا سافرت وحدها، فلا حرج عليها شرعا في ذلك، ولا يعد هذا مخالفة للحديث، بل قد يؤيد هذا حديث عدي بن حاتم مرفوعا عند

البخاري: "يوشك أن تخرج الظعينة من الحيرة تقدم البيت (أي الكعبة) لا زوج معها") انتهى.

هذا بعض ما قاله شيخنا القرضاوي حفظه الله، مما يدل على نفاذ بصيرته وحسن فهمه للسنة، وقد أثبت الشيخ أن هذا النهج في الفهم ليس من صنيعه هو، بل هو نهج الصحابة والتابعين في فهم السنة النبوية، فأثبت ذلك بالأمثلة والأدلة في نفس الكتاب تحت عنوان "منهاج الصحابة والتابعين في النظر إلى علل النصوص وظروفها" ص 150 – ص 155

وفي نفس الكتاب أيضا، تحت عنوان "السنة بين اللفظ والروح أو بين الظواهر والمقاصد" ص 155 – ص 157 أثبت الشيخ أن التمسك بحرفية السنة أحيانا لا يكون تنفيذا لروح السنة ومقصودها، بل يكون مضادا لها، وإن كان ظاهره التمسك بها.، وضرب على ذلك مثالا مهما، على من يتشددون كل التشديد في منع إخراج زكاة الفطر نقدا.

لقد وجدنا بعض من كانوا يهاجمون فقيه العصر العلامة القرضاوي، الذين كانوا يهاجمونه علنا أمام الناس من خلال الإنترنت أو الفضائيات وينتقصون من قدره وعلمه، وجدناهم أول المنسحبين من الساحة أمام الأحداث الراهنة والصعبة التي تمر بها أمتنا، فوقفوا مع الحاكم الظالم المستبد الذي يقتل شعبه، ومنهم من وقف موقف المتفرج، أين دفاعهم عن الدين وعن حرمات المسلمين؟، أم أنهم أسود في وجه العلماء الربانيين، ولكنهم حمائم مسالمين أمام الجبارين المستكبرين!

لقد أثبت الشيخ القرضاوي بأنه فقيه العصر بحق، فإدراكه لواقع أمته والظلم الذي عاشته الأمة خلال عقود من الزمان، والشر المستطير الذي لحق بخيرات هذه الأمة من الفساد والمفسدين، إدراكه لكل ذلك جعله يقف موقفا صحيحا مشرفا من هذه الشعوب الحية التي انتفضت على جلاديها ممن عاثوا في الأرض فسادا واستعبادا، هذا فضلا عن معاناته في السجون أيام شبابه، ومن يقرأ مذكرات الشيخ القرضاوي يعرف ذلك، كل هذا شكل رصيدا ضخما للشيخ القرضاوي عند جماهير الأمة، فحيا

الله الشيخ القرضاوي ونفع به وبارك له في عمره ووقته وصحته، وجزاه عن الإسلام وأمته خير الجزاء.

اللهم اجمعنا بعلماء الأمة الربانيين، والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. اللهم آمين.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

من فقه العلامة القرضاوي – الإلتزام بالإجماع المتيقن

في أواخر شهر ديسمبر من عام 2010 جرى حوار بيني وبين بعض الزملاء، الذين كان لدى بعضهم تخوفات من منهج الشيخ القرضاوي. تعود هذه التخوفات إلى الفكرة المترسخة في الأذهان عن التيسير، وأن التيسير - في نظرهم - هو فقط ما احتوته كتب الأقدمين من اختيارات فقهية، وما زاد عن ذلك التيسير فإنما هو – في ظنهم – زيادات المتأخرين الذين يبالغون في التيسير وأن هذه الزيادات لا بد أنها تخالف الثوابت الشرعية وأصول العقيدة.

ولكن الذي يتأمل ويقلب نظره في كتب الشيخ القرضاوي حفظه الله، يراها أشد ما تكون تمسكا بالثوابت وأصول العقيدة، وفي نفس الوقت يراها تختار التيسير على عباد الله فيما هو قابل للتيسير من الأمور التي لم يرد فيها نص صحيح الثبوت صريح الدلالة من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قبل أن يبدأ ذلك الحوار مع الزملاء، أرسلت لهم الرسالة التالية عبر البريد الإلكتروني وذلك بقصد التعريف بمنهج اليسر والسماحة الذي يتبعه الشيخ القرضاوي حفظه الله، ولم أكن أتوقع بأن حوارا واعتراضا سوف ينشأ من بعض الزملاء بعد إرسال الرسالة، وذلك لأن رسالتي لم تحتوي على فتاوى فرعية أو تفصيلية، وإنما تتناول الإسلام بسهولة ويسر.

فكانت رسالتي التي أرسلتها لزملائي قبل أن يبدأ الحوار كالتالي:-

منقول من كتاب" الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف" لفضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله:

التشديد في غير محله

- ومما ينكر من التشديد أن يكون في غير مكانه وزمانه، كأن يكون في غير دار الإسلام وبلاده الأصلية، أو مع قوم حديثي عهد بإسلام، أو حديثي عهد بتوبة.

فهؤلاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية، والأمور الخلافية، والتركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات، والأصول قبل الفروع، وتصحيح عقائدهم أولاً، فإذا اطمأن إليها دعاهم إلى أركان الإسلام، ثم إلى شعب الإيمان، ثم إلى مقامات الإحسان.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال له:

إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم... (الحديث متفق عليه).

فانظر كيف أمره أن يتدرج في دعوتهم، فيبدأ بالأساس، وهو الشهادتان: الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، ثم إذا استجابوا دعاهم إلى الركن الثاني، وهو الصلاة، فإن أطاعوا انتقل إلى الركن الثالث، وهو الزكاة... وهكذا.

ولقد راعني أن وجدت بعض الشباب المخلصين من بعض الجماعات الإسلامية في أمريكا، قد أثاروا جدلاً عنيفاً في أحد المراكز الإسلامية، لأن المسلمين يجلسون على الكراسي في محاضرات السبت والأحد، ولا يجلسون على الحصير أو السجاد كما يجلس أهل المساجد، ولأنهم لا يتجهون في جلوسهم إلى القبلة، كما هو أدب المسلم، وأنهم يلبسون البنطلونات لا الجلاليب البيض، ويأكلون على المناضد لا على الأرض... الخ.

وقد غاظني هذا النوع من التفكير والسلوك في قلب أمريكا الشمالية، وقلت لهم: أولى بكم في هذا المجتمع اللاهث وراء المادة، أن تجعلوا أكبر همكم الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته، والتذكير بالدار الآخرة، وبالقيم الدينية العليا، وتحذِّروا من الموبقات التي غرقت فيها المجتمعات المتقدمة مادياً في عصرنا، أما الآداب والمكملات التحسينية في الدين، فمكانها وزمانها بعد تمكين الضروريات والأساسيات وتثبيتها.

وفي مركز إسلامي آخر، وجدتهم أقاموا الدنيا وأقعدوها من أجل عرض فيلم تاريخي أو تعليمي في المسجد، وقالوا: قد حوّلوا المسجد إلى سينما! ونسي هؤلاء أن المسجد وضع لمصلحة المسلمين الدينية والدنيوية، وقد كان في عهد النبوة دار الدعوة ومركز الدولة، ومحور النشاط في المجتمع، ولا يجهل أحد ما رواه البخاري وغيره من إذن النبي صلى الله عليه وسلم للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في قلب مسجده الشريف، وسماحه لعائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم وهم يلعبون.

انتهت الرسالة...

<u>فجاء الرد الأول من الزميل رقم 1 الذي أعجبته الرسالة، فقال</u>: كلام جميل وواقعي ... وأكثر شيء نفتقده في منهج حياتنا هذه الأيام هو: الواقعية ... وهي ما أتقنه أعداؤنا وحصلوا من خلال المنهج الواقعي على ما كان غير موجود إلا فى أحلامهم منذ 100 سنة مضت.

قلت له: بارك الله فيك، أنا سعيد برأيك الذي يدل على بصيرة وسعة أفق. وأنصح بقراءة كتاب "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" وهو موجود على موقع الشيخ القرضاوي على الإنترنت.

ثم جاء رد الزميل رقم 2 الذي بدأ في أخذ الموضوع منحا آخر عن طريق محاولته صرف اهتمام الزملاء عن منهج الشيخ القرضاوي وذلك بإنكاره لبعض فتاوى الشيخ وادعائه بأن منهج الشيخ في التيسير يعمل على خلل العقيدة والمفاهيم الأساسية والثوابت. وأرى بأن هذا ظلم للإسلام قبل أن يكون ظلما للشيخ، فالإسلام العظيم أنزله رب عظيم هو أرحم الراحمين، ليكون هداية لا تضييقا على العالمين، فالحمد لله رب العالمين. وهذا ما جعلني أدخل في الحوار لأدافع عن منهج الشيخ القرضاوي الذي يعبر عن روح الإسلام العظيم الذي ظلمه مسلموا اليوم قبل غيرهم.

فقال لي الزميل رقم 2: كله كلام جميل وواقعي وأتفق مع طرح فضيلة الدكتور القرضاوي في الأمور الثانوية مثل ما ذكر في المقالة التي أرسلها يحيى عبر البريد الإلكتروني، ولكن مهم جدا أن لايكون في الأساسيات والثوابت. فإن التسهيل الذي يؤدي إلى خلل في العقيدة والمفاهيم الأساسية بالضرورة سيؤدي إلى نتائج غير محمودة ولايجوز التساهل فيها. وبالإشارة إلى الحديث الذي استشهد به فضيلة الدكتور في عملية التدرج في دعوة غير المسلمين فإن الرسول يعلمنا كيفية دعوة غير المسلمين ولكن الخطير هنا هو أن يستخدم هذا الحديث كمبدأ في تسهيل الأمور الشرعية للمسلمين تحت مبدأ الواقعية. سأضرب أمثلة طرحها الشيخ الفاضل الدكتور يوسف القرضاوي في مجال الواقعية مؤخرا في برنامج الشريعة و الحياة الذي يبث على قناة الجزيرة و التي حسب رأي علماء آخرين في مكانة الدكتور القرضاوي من العلم بأنها غير صحيحة، مثل فتوى الشيخ القرضاوي التي يحل فيها الغناء وسماعه من النساء مع ما يرافقه من مزامير ومعازف، واستشهد الشيخ بالحديث المتفق عليه الذي ترويه عائشة رضي الله عنها، ولكن ابن القيم رحمه الله قال : (وأقرهما لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاع والحرب، وكان اليوم يوم عيد، فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوتِ امرأةٍ جميلة أجنبيةٍ، أو صبي أمرد صوته فتنة، وصورته فتنة، يغني بما يدعو إلى الزنى والفجور وشرب الخمور مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم – إلى آخر ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله). وكذلك فتوى الشيخ القرضاوي بجواز القتال في الجيش

الأمريكي ضد الإرهاب، وكذلك فتواه في جواز مصافحة الرجل للمرأة بشرطين، هما: أن تكون هناك ضرورة، وحال أمنت الفتنة، وكذلك فتواه بجواز تهنئة النصارى في أعيادهم، وفتواه التي أجاز فيها لإمام المسلمين أن يستعين بغير المسلمين -بخاصة أهل الكتاب- في الشؤون الحربية، وأن يسهم لهم من الغنائم كالمسلمين.

قلت لزميلي: أحترم رأيك وأحبك في الله. وأحمد الله سبحانه وتعالى أن أرشدني لقراءة كتابات العلامة القرضاوي لأنني أدركت بها ما يقصده الشيخ، والكثير من المنتقدين له لم يفهموا ما قصده الشيخ لأنهم لم يقرأوا تفاصيل ما كتبه، وللتوضيح إليك الآتي: بالنسبة للغناء وسماعه من النساء مع ما يرافقه من مزامير ومعازف، هناك كتاب للشيخ القرضاوي اسمه "فقه الغناء والموسيقى" يشرح فيه بالتفصيل أدلة المحرمين وأدلة المبيحين، وشرح الشيخ أدلة المحرمين من ناحية السند ومن ناحية المتن وأثبت بأنه لا يوجد هناك نص صحيح صريح في الاسلام لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية يثبت أن الغناء والموسيقى حرام. ولا تحريم في الاسلام إلا بنص صحيح صريح ولم يوجد، وبما أنه لا يوجد فإن الأشياء تبقى على الأصل والأصل في الأشياء الإباحة. أما أن الجاريتين في الحديث المتفق عليه غير بالغتين فهذا لا دليل عليه وهذا ما قاله الشيخ القرضاوي في كتابه، وقال بأنهن لو كن غير بالغتين لما انتهرهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه كل هذا الانتهار خاصة أن هناك روايات أخرى من نفس الحديث تقول بأن سيدنا أبو بكر رضي الله عنه مزق الدفين الذين كانتا تستخدمانه. والرسول الكريم في هذا الحديث أنكر على أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا التشديد وقال له: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد. وأما القول بأن الغناء مباح في العيد فقط فقد قال الشيخ في كتابه أن ذلك ليس صحيحا لأن الله سبحانه وتعالى لم يبح المحرم في العيد، فالحرام هو حرام قبل العيد وأثناء العيد، وإنما شرع التوسع في إدخال السرور والبهجة على الناس في العيد.

إلا أن العلامة القرضاوي لا يجيز الغناء والموسيقى بلا ضوابط، بل وضع لذلك عدة ضوابط أرجو منك الرجوع إليها في كتابه "فقه الغناء والموسيقى". علما بأن الشيخ في بداية كتابه قال بصريح العبارة أن أغاني الفيديو كليب بما فيها من رقص وخلاعة كلها حرام ولا يقول فقيه بإباحتها.
على أية حال فموضوع الغناء اختلف فيه الفقهاء من قديم وليس من الآن، وهذا ما أثبته الشيخ في كتابه، فالإمام ابن حزم والإمام أبي حامد الغزالي وغيرهم أجازوا الغناء، وللإمام الغزالي كلام جميل في الموضوع في كتابه الرائع "إحياء علوم الدين"، وقد نقل

الشيخ القرضاوي في كتابه بعضا من كلام الغزالي وابن حزم والعلماء الآخرين وحتى الصحابة والتابعين.

أما بالنسبة لفتوى القتال في الجيش الأمريكي ضد الإرهاب، فقد تراجع الشيخ القرضاوي عن هذه الفتوى في الأسبوع الذي يليها مباشرة والحمد لله، واعترف بأنه قد أخطأ في هذه الفتوى، وذلك بعدما اتصل فيه تلميذه الداعية صلاح الدين سلطان وأدخله على الخط مع الدكتور جمال بدوي وأوضحا له مجالات الخطأ في الفتوى (وبعد حواري مع الزملاء بفترة طويلة قرأت كتابا للشيخ القرضاوي حفظه الله اسمه "الفتاوى الشاذة" ذكر فيه الشيخ الفتاوى الشاذة لبعض العلماء مع رده عليها وذكر أيضا فتواه هذه التي تراجع عنها مع ذكره للأسباب التي دفعته إليها ويعتبرها من الفتاوى التي تدخل في الشذوذ).

وبالنسبة لفتوى الشيخ القرضاوي بجواز مصافحة الرجل للمرأة بشرطين، هما: أن تكون هناك ضرورة، وحال أمنت الفتنة. فإنني أحيلك إلى هذا الرابط لقراءة نص جواب الشيخ في برنامج الشريعة والحياة بتاريخ 30/11/2010:

https://www.aljazeera.net/programs/religionandlife/2010/11/30/حلقة-مفتوحة#L4

(وبعد حواري مع الزملاء بفترة طويلة علمت أن الشيخ القرضاوي حفظه الله قد كتب فتوى مطولة في هذا الموضوع ونشرها في كتابه الرائع "فتاوى معاصرة")

أما بالنسبة لفتوى جواز تهنئة النصارى في أعيادهم، فإنه بالإمكان الرجوع إلى فتوى الشيخ من خلال موقعه على الإنترنت.

وبالنسبة للفتوى التي أجاز فيها لإمام المسلمين أن يستعين بغير المسلمين -بخاصة أهل الكتاب- في الشؤون الحربية، وأن يسهم لهم من الغنائم كالمسلمين فهذه النقطة لا أعرفها فلم أقرأ عنها. (ولكن بعد حواري مع الزملاء بفترة طويلة علمت أن العلامة القرضاوي حفظه الله قد تكلم عن هذا الموضوع وغيرها من مواضيع الجهاد وذلك في كتابه الموسوعة "فقه الجهاد" فجزى الله شيخنا خير الجزاء).

بقي أن نقول هنا أن هناك قاعدة عند الفقهاء وهي أنه: لا انكار في المسائل الخلافية. وكما يقولون: الاختلاف لا يفسد للود قضية.

قال لي الزميل رقم 2: أخي يحيى أحبك الذي أحببتني به. وأنا معك بأن إختلاف وجهات النظر لايفسد للود قضية. إن بيت القصيد من سرد بعض الأمثلة من قبل فقيه علامة مثل الدكتور القرضاوي هو أننا يجب أن نكون حريصين جدا في موضوع الواقعية والموضوعية ومدى تطبيقه في الأمور الشرعية وأنه لا يجب أن نتساهل فيها لأن هناك آراء مخالفة تماما من علماء لا يقلوا شأنا في علمهم عن فضيلته مثل إسحاق الحويني و محمد حسان ووجدي غنيم و الطبراني و غيرهم من العلماء الجهابذه. في رأيي الشخصي إن إجتهاد عالم واحد في أمور يمكن أن يختلف عليها مقابل اجتهاد مجموعة من العلماء المشهود لهم في التقوى لا يؤخذ به لأن ذلك سيؤدي حتما إلى تجاوزات شرعية في تطبيق هذه التساهلات من قبل عموم الناس. وسوف أذكر لك مثالا واحدا على ما أقول:

لقد كتب الشيخ في موضوع الغناء فقال "ومن اللهو الذي تستريح إليه النفوس، وتطرب له القلوب، وتنعم به الآذان الغناء، وقد أباحه الإسلام ما لم يشتمل على فحش أو خنا أو تحريض على إثم، ولا بأس أن تصاحبه الموسيقى غير المثيرة." بالله عليك يا أخي يحيى هل تتفق هذه الشروط مع ما يقوم به المغنين والمغنيات في هذا الزمان بما فيهم فيروز وأم كلثوم واللتان تغنيان في أمور الحب والغرام لساعات طوال فيه مضيعة للوقت وإثارة للمشاعر في غير محلها وغير وقتها؟

إن النقاش في هذا الموضوع يطول وأنا كما هو معلوم لديكم لا أشارك كثيرا في هذه النقاشات و لكن وجدت أنه من الضروري توضيح نقطة أن تطويع شرع الله بما يتناسب العصر الذي نعيش فيه و خصوصا فيما يتعلق في الأمور التي كانت مسلما بها على أيام الصحابة وفي أوج الدولة الإسلامية تحت بند الواقعية و الموضوعية وأصبحت الآن خلافية بين علماء عصرنا هو أمر جدا خطير، وعلينا جميعا أن نتحرى في موضوع الفتاوى التي تصدر من بعض علماء عصرنا مهما علا شأنهم مثل فضيلته لأنه في آخر الأمر هو بشر والبشر يخطئون في اجتهاداتهم و لا يمكن أن نأخذ جميع فتاواهم على أنها قرآن منزل. أرجوا الله العلي القدير أن يمن علينا بالبصيرة وأن نكون من الناس الذين ينطبق عليهم هذا الدعاء " اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه" وأن يزيل الفرقة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

قلت لزميلي: بارك الله فيك، ولكني أحب أن أوضح بعض الأمور:

فالحق لا يكون دائما مع الأكثرية، فكم من مرة كان الحق مع الأقلية وليس مع الأكثرية. وكلنا نعلم ما لاقاه العلامة ابن تيمية من السجن حين أفتى في أمر الطلاق بأنه لا يقع إلا

مرة واحدة إن تم النطق به ثلاثا في مكان واحد وزمان واحد، واعتبروه في ذلك الوقت قد خالف ما تعارف عليه الناس، ولكن بعد مدة من الزمن أصبحت فتواه معمول بها في أرجاء العالم الاسلامي وحلت كثيرا من المشاكل لدى الناس وتم الأخذ بها.

أريد أن أقول لك بكل صراحة وصدق ووضوح: أنا أتفق في موضوع أن بعض الفتاوى ممكن أن تؤدي إلى تجاوزات شرعية في التطبيق من قبل بعض الناس، ولكن ألا تتفق معي بأن القرآن الكريم نفسه تجاوزه بعض الناس تجاوزات شرعية عن طريق التفسير الخاطئ والتطبيق الخاطئ لآيات الجهاد الموجودة فيه؟، فهل يعني ذلك أن نطمس على آيات الجهاد في القرآن الكريم ونلغيها؟!!. طبعا لا، الحق لا بد من أن يقال ويبين للناس حتى لو كان بعضهم سيفهمه خطأ ويطبقه خطأ، وأنا على قناعة بأن الضرر الذي سيأتي من إخفاء الحق أكبر بكثير من المنفعة التي ستأتي من إخفاء الحق، أما إظهار الحق وتبيينه للناس فإنه يأتي بمنفعة أكبر بكثير من الضرر الذي سيؤدي إليه إظهار الحق.

وأما بالنسبة لقولك "أمور الحب والغرام لساعات طوال فيه مضيعة للوقت وإثارة للمشاعر في غير محلها وغير وقتها"، فإنه بالإمكان الرجوع إلى موقع الشيخ القرضاوي على الإنترنت لمعرفة الضوابط التي أوردها فيما يخص مضيعة الوقت وإثارة المشاعر. وقد أورد القرضاوي في كتابه "فقه الغناء والموسيقى" بأن هناك شاعرا من الشعراء قال أمام الرسول صلى الله عليه وسلم قصيدة فيها من الغزل ما فيها ولم يعترض عليه الرسول الكريم. وعلى أية حال فالموضوع خلافي بين العلماء كما قلنا. كما أن الشيخ حفظه الله لا يجيز للمسلم بأن يضيع وقته على سماع الغناء والموسيقى، كما أنه لا يجيز له السماع لما يثيره ويهيج غرائزه الدنيا.

أما بالنسبة لعبارة: "تطويع شرع الله بما يتناسب العصر الذي نعيش فيه وخصوصا فيما يتعلق في الأمور التي كانت مسلما بها على أيام الصحابة وفي أوج الدولة الإسلامية تحت بند الواقعية والموضوعية وأصبحت الآن خلافية بين علماء عصرنا هو أمر جدا خطير". أرجو ألا يظن أحد منكم أن فضيلة الشيخ القرضاوي يجتهد فيما هو غير قابل للاجتهاد، فحتى يزول الغموض لدى الجميع عما هو ثابت في الشريعة لا يقبل التغيير بحال من الأحوال مهما تغير الزمان والمكان، وما هو قابل للتغيير بتغير الزمان والمكان، فإنني أنصح كل من يريد توضيح هذه النقطة لديه أن يقرأ موضوع "الشريعة بين الثابت والمتغير" من موقع الشيخ على الإنترنت. كما أنصح بقراءة كتابه "موجبات تغير الفتوى في عصرنا".

هناك قاعدة فقهية تقول أنه لا إنكار في المسائل الخلافية: أي أنه لا أحد يجبر الآخر على رأيه فيما اختلف فيه الفقهاء، كما أنه لا ينكر رأي الآخر بل يحترمه وإن لم يقتنع به.

المجتهد ملزم بأن يفتي بما وصل إليه اجتهاده وليس بأن يتنازل عن اجتهاده لإرضاء للناس، فإن أصاب المجتهد فله أجران: أجر الاجتهاد وأجر الصواب، وإن أخطأ فله أجر واحد وهو أجر الاجتهاد.

قال الزميل رقم 2: قال تعالى "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" (لقمان 6)

و أكتفي بالحديثين:
الأول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) رواه البخاري في الصحيح

والثاني: عن أبي عبدالله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وأن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) رواه البخاري و مسلم

قلت: لقد شرح الشيخ القرضاوي حفظه الله هذه الآية الكريمة من سورة لقمان شرحا وافيا في كتابه "فقه الغناء والموسيقى" والذي ناقش فيه كذلك هذه الأحاديث وغيرها بالتفصيل من ناحية السند والمتن.

المجال يطول، لذلك لمن أراد الاستزادة أنصحه بأن يقتني الكتاب ويقرأه، وهو يزيد عن 200 صفحة.

قال الزميل رقم 3 معقبا ومهاجما: أولا: الإسلام مصلح للزمان والمكان وليس فقط صالح وأريد أن أقول أن القرضاوي ألف كتاب الحلال و الحرام و إنما هو الحلال و الحلال و أضيف بأنه ليس من المتساهلين فقط بل هو من الذين لا يمكن أن يطلق عليه متساهل إذ أن المتساهل قد يتساهل في مواضيع معينة و ليس جميعها. ثانيا: إن قول الأئمة: (تتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان) لم يريدوا به ما أراده أعداء الشريعة، فقد أراد الأئمة بقولهم: (تتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان) ما كان في باب اجتهاد العلماء فقط، وفي أبواب معينة وهي: باب العرف، والذي يتأمل في طريقة هؤلاء المتلاعبين يجد أنهم يريدون إخضاع الشريعة لمتغيرات العصر مطلقا، فهم يقولون: "لابد من تغيير كثير من الأحكام الشرعية ولاسيما مع تغير العصر"، وهم يرون سقوط قوامة الرجل على المرأة، وجواز توليها للقضاء، وترك الحدود وجهاد الكفار وأمور أخرى كثيرة يصعب حصرها، بل قال بعض المفتين ممن يسلك قريبا من هذا المسلك: "بأنه لا بد من إباحة الغناء، لأن الكثير من الأوروبيين لا يستغنون عنه، ويرون أن تحريم الغناء فيه مشقة عليهم وهذا ينفرهم، والقول بجوازه يحبب الإسلام إليهم"، كذا قالوا، وهذا غلط فاحش، وإنما جاءت الشرائع بإخراج الناس من هذا الواقع الفاسد لا لإقرارهم عليه، وإلا لزم كذلك القول بأننا نقرهم على الزنا والخمور فهم أشد حبا لها من الغناء.

قلت لزميلي: منهج التيسير هو منهج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث الصحيح أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما.

أما أن الشيخ القرضاوي يبالغ في التساهل إلى درجة التساهل في كل شيء فهذا ليس صحيحا، وأحيلك إلى كتاب لفضيلة الشيخ بعنوان: "الفتوى بين الانضباط والتسيب" والكتاب موجود على موقع الشيخ على الإنترنت.

أما عن كتابه "الحلال والحرام في الاسلام" فهو كتاب قيم جدا، وقد مدحه عدد من العلماء الكبار. (قبل فترة وجيزة من كتابة هذا المقال أصدر الشيخ القرضاوي حفظه الله نسخة جديدة وموسعة من كتابه الحلال والحرام في الإسلام، ولكن لم يتم تحميلها بعد على موقع الشيخ على الإنترنت حتى لحظة كتابة هذا المقال).

ثم نقلت لزميلي النص التالي من موقع الشيخ:

وقد انتشر كتاب "الحلال والحرام في الاسلام" انتشاراً منقطع النظير في العالم العربي والإسلامي، ونوه به كثيرون من العلماء المرموقين، حتى قال الأستاذ الكبير: مصطفى الزرقاء: إن اقتناء هذا الكتاب واجب على كل أسرة مسلمة، وقال الأستاذ محمد المبارك ـ رحمه الله ـ هو أفضل كتاب في موضوعه، وكان الأستاذ الكبير علي الطنطاوي يدرسه لطلابه في كلية التربية بمكة المكرمة، وعني المحدث المعروف الشيخ ناصر الدين الألباني بتخريج أحاديثه.
كما اهتمت به الأقسام الأكاديمية للدراسات الإسلامية في جامعتي (البنجاب) و(كراتشي). ففي أوائل الستينات قدمت الدارسة جميلة شوكت (د. جميلة شوكت بعد ذلك) إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة البنجاب دراسة عن الكتاب باعتباره نموذجا جديداً في كتابة الفقه الإسلامي، وقد حصلت بدراستها تلك على "الماجستير"، وكان المشرف عليها العلامة علاء الدين الصديقي رئيس الجامعة بعد ذلك. كما قدم طالب آخر من جامعة كراتشي دراسة أخرى عن الكتاب. طبع الكتاب ما لا يقل عن أربعين مرة بالعربية، حيث تطبعه أكثر من دار نشر بالقاهرة وبيروت، والكويت، والجزائر، والمغرب، وأمريكا. هذا عدا الطبعات المسروقة التي يصعب تتبعها وحصرها. كما ترجم الكتاب إلى الإنجليزية والألمانية والأوردية والفارسية والتركية والماليزية والأندونيسية والماليبارية والسواحلية والإسبانية والصينية، وغيرها.

القرضاوي عالم مؤلف محقق كما وصفه العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه "رسائل الأعلام" وكتبه لها ثقلها وتأثيرها في العالم الإسلامي، كما وصفها بحق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز. والناظر في كتبه وبحوثه ومؤلفاته يستيقن من أنه كاتب مفكر أصيل لا يكرر نفسه، ولا يقلد غيره، ولا يطرق من الموضوعات إلا ما يعتقد أنه يضيف فيه جديداً من تصحيح فهم، أو تأصيل فكر، أو توضيح غامض، أو تفصيل مجمل، أو رد شبهة، أو بيان حكمة أو نحو ذلك.

انتهى النص الذي نقلته...

أكملت قائلا لزميلي: الشيخ القرضاوي شرح منهجه في الإفتاء في مقدمة كتابه فتاوى معاصرة وفي كتابه الفتوى بين الانضباط والتسيب، أنصح الجميع بقراءته. ولاحظوا هذه النقطة المهمة جدا الموجودة في مقدمة كتابه فتاوى معاصرة وهي قول الشيخ:

"ولكن حسب العالم المستقل في هذا الموقف أمور:

(أ) ألا يلتزم رأيا في قضية بدون دليل قوي، سالم من معارض معتبر، ولا يكون كبعض الناس الذين ينصرون رأيا معينا لأنه قول فلان، أو مذهب فلان، دون نظر إلى دليل أو برهان، مع أن الله تعالى يقول: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ولا يسمى العلم علما إذا كان ناشئا من غير دليل. ولقد قال الإمام علي -كرم الله وجهه-: (لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله)."

قال الزميل 2 معقبا: إخوتي الأعزاء، إن ما تفضل به فضيلة الدكتور القرضاوي في تلك الكتب هو المنهج الصحيح في الاجتهاد وإصدار الفتاوى التي تستند إلى الأدلة والبراهين و التخاطب بلغة يفهمها عموم الناس و لكن في نفس الوقت ركز على نقطة مهمة جدا و هي أننا يجب أن لا نتحزب لرأي فلان من العلماء بما فيهم فضيلة الدكتور القرضاوي في فتوى أو مجموعة فتاوى فقط لأنها صدرت من هذا العالم أو ذاك و أعتقد أن كل النقاش الذي دار بيننا في السابق محوره هذه النقطة.

أخونا يحيى جزاه الله عنا كل خير كان جل همه في النقاشات السابقة أن يثبت أن بعض الفتاوى التي صدرت عن فضيلة الدكتور القرضاوي هي صحيحة بدون الأخذ بعين الاعتبار أقوال علماء آخرين بمستوى فضيلته من العلم والذين يفندون هذه الفتاوى بالدليل الرباني من القرآن الكريم وهدي رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم. وأراد أيضا أن يبين لنا جميعا أن فضيلته محل ثقة (وهو كذلك) وأنه لا يمكن أن يخطئ من خلال الاستدلال بكتب كثيرة للشيخ القرضاوي تبين حجته والأدلة الشرعية التي استند عليها.

بصراحة أنا على مستواي الشخصي (وأعتقد أن عموم المسلمين كذلك) لا أستطيع أن أجزم بأن الأدلة التي سردها فضيلته هي صحيحة أو يمكن استخدامها في مقام بعض الفتاوى التي أصدرها، ولكن لقد تعلمنا (وهذا هو النهج الذي أكد عليه فضيلته) أنه إذا كان هناك اختلاف جوهري كما هو الحال في بعض فتاوى فضيلته ألا نتحزب إلى اجتهاد أي من العلماء فقط لأن هذا العالم هو فلان من الناس مهما على في علمه أو مكانته. ومن هنا كان لزاما علي أن أقوم بالتنبيه فقط على أنه يجب علينا التدقيق في بعض هذه الفتاوى و الاطلاع على ما يقوله هؤلاء العلماء في هذه الفتاوى حتى لا نقع في المحظور إن كانت هذه الفتاوى

غير صحيحة و هذا ليس إنقاصا من شأن فضيلته بل هو نصرة له و يجب عمله تحقيقا لهدي رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله أنصره إذ كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره. وعليه فإن صح أن عموم العلماء المؤهلين قد فندوا بعض فتاوى فضيلة الدكتور وأثبتوا أنها غير صحيحة فإن في إتباعها ظلما لعموم الناس من المسلمين و بذلك يكون فضيلته قد ظلم عموم الناس من المسلمين بالإضافة إلى ظلمه لنفسه و بالتالي يمكن أن يدخل ذلك فضيلته على أنه ظالم ويجب على المسلمين المؤهلين من منعه من الاستمرار في إصدار هذا النوع من الفتاوى نصرة لفضيلته.

قلت لزميلي: للتوضيح، لم يكن هدفي وهمي أبدا أن أثبت لكم أن فتاوى الشيخ القرضاوي صحيحة – وإن كنت أنا مقتنعا بها – وإنما كان هدفي هو الدفاع عن الشيخ عن طريق إثبات أنه لا يفتي إلا بدليل قوي، وأن أثبت أن العلامة القرضاوي لم يخالف الإجماع المتيقن في أي من فتاواه كما يعتقد ذلك بعض الناس. فهناك كثير من الأمور يعتقد بعض الناس أن عليها إجماع متيقن ولكنها في الحقيقة أمور خلافية اختلف عليها الفقهاء من قديم وليس فقط من الآن، كما أن الصحابة رضوان الله عليهم لهم فيها أقوال. ولكن لأن عموم الناس لا يعرفون هذه الأمور فإنهم يعتقدون بعض الأمور قطعية بينما هي في حقيقتها خلافية.

في الاسلام عندنا شيء يسميه العلماء دائرة الأصول أو دائرة القطعيات وشيء آخر يسمونه دائرة العفو. دائرة الأصول أو دائرة القطعيات هذه لا مجال فيها للاجتهاد وهي الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي أجمعت عليها الأمة إجماعا متيقنا والتي لا تقبل الاجتهاد بحال من الأحوال. أما دائرة العفو فهي قابلة للاجتهاد لأنها أمور لم يرد فيها نص شرعي صحيح الثبوت صريح الدلالة، فكما قال فقهاؤنا من قديم فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف والحال. وباب الاجتهاد هو باب فتحه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فلا أحد يملك أن يغلق بابا فتحه رسول الله. ولكن على الاجتهاد أن يكون من أهله في محله، من أهله: أي أن يصدر عن العلماء المؤهلين للاجتهاد، وفي محله: أي أن يكون في دائرة العفو وليس في دائرة الأصول، وهناك شروط للمجتهد فليس كل من درس الشريعة في الجامعة وتخرج منها يصلح لأن يكون مجتهدا، ولمعرفة شروط الاجتهاد

أحيلكم إلى كتاب قيم لفضيلة العلامة القرضاوي بعنوان "الاجتهاد في الشريعة الاسلامية" والكتاب موجود مجانا على موقع الشيخ على الإنترنت.

وسوف تلاحظون أن أحد الشروط التي وضعها الفقهاء للمجتهد هو شرط معرفة الحياة والناس.

وأعتقد أن هذا الكلام يكفي أيضا للرد على عبارتك الأخيرة التي تقول بأن القرضاوي قد يكون ظالما!!!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، أي يجدد الفهم لهذا الدين ويصحح المفاهيم ويزيل الغموض ويجدد الإيمان والعمل بهذا الدين. ولم يخل عصر من العصور من المجددين ومن القائمين بالحجة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)

بالنهاية العلامة القرضاوي بشر يخطئ ويصيب ولا يوجد عندنا كهنوت في الاسلام، وأنا بالنسبة لي اقتنعت بفتاوى العلامة شيخ الإسلام يوسف القرضاوي لأنه لا يفتي إلا بدليل قوي، ولا يفتي إلا بعد استفراغ الوسع، ولا يفتي اتباعا للهوى، ولا يستند إلى الأحاديث الضعيفة في فتاويه، فكما هو متفق عليه بين الفقهاء أن الحديث الضعيف لا يبنى عليه حكم. كما أن القرضاوي يذكر أدلة المعارضين ويشرحها ويرد عليها، فهو ليس أعمى عن أدلة المخالفين.

وبارك الله فيكم.

من فقه العلامة القرضاوي: رفض الظلم ورفض الإرهاب

الشيخ العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله، شيخ الإسلام وإمام المجددين وفقيه العصر والفقيه الأصولي والإمام المربي والإمام الفذ الذي يدعو إلى السلام مع المسالمين من المسلمين وغير المسلمين ويدعو إلى حوار الحضارات والتآخي في الدين والوطنية والتآخي في الإنسانية، فمن ليس على ديننا يكون أخونا في الوطنية على الأقل، ومن ليس على ديننا ولا يعيش في وطننا فهو أخونا في الإنسانية على الأقل. أبعد ذلك أدب؟، أبعد ذلك فن؟، أبعد ذلك ذوق؟ القرضاوي الذي علمنا بأن منهج القرآن يعلم أدب الخطاب مع الآخرين، فلم يعلمنا القرآن أن نخاطب الكافر ب "يا كافر" بالرغم من كفره وذلك تأدبا في الخطاب، القرضاوي الذي علمنا بأن القرآن الكريم لم يخاطب الكافر ب "يا كافر" إلا في موضعين اثنين في القرآن الكريم، قال تعالى: (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) وذلك في معرض توبيخهم يوم القيامة، وقوله تعالى: (قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون) وذلك في معرض الرد الحاسم على الذين اقترحوا على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يعبد إلاههم عاما ويعبدون إلاهه عاما، فجاء رد القرآن الكريم على كلامهم حاسما قويا، وما عدا ذلك فلم يخاطب القرآن الكريم الكفار ب "يا كافرين". ولذلك كتب الشيخ القرضاوي كتابا أسماه "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي" ولم يسمه "الكفار في المجتمع الإسلامي". الشيخ القرضاوي الذي أكد دائما على روح الوسطية والسماحة والاعتدال. القرضاوي الذي فهمنا الدين من قراءتنا لكتبه وسماعنا لخطبه ومحاضراته، القرضاوي الذي أقنعنا بأن الإرهاب هو عمليات الحادي عشر من سبتمبر وخطف الطائرات وترويع الآمنين وخطف الرهائن، القرضاوي الذي أقنعنا بأن الإرهاب هو القاعدة وداعش، القرضاوي الذي أقنعنا بأن الإرهاب هو إخافة من لا يستحق أن تخيفه وليس بينك وبينه أي قضية، القرضاوي الذي حدد الفرق بين مفاهيم الإرهاب والعنف والجهاد، فوجدته يتحدث عن ذلك في كتابه "الإسلام والعنف" وذلك قبل أن يصدر كتابه الرائع "فقه الجهاد" الذي وضع فيه النقاط على الحروف. الشيخ القرضاوي الذي عرفنا منه الحقيقة الناصعة لهذا الدين، تلك الحقيقة الرائعة التي أظهرها لنا دون زيادة ولا نقصان، ودون مجاملة لأحد، بل أظهر لنا حقيقة هذا الدين العظيم بما فيه من روح دفاقة ووسطية لا توجد إلا في الإسلام. أبعد ذلك كله يتم إدراج الشيخ القرضاوي على قوائم المطلوبين دوليا للإنتربول؟.
والله إن هذا لشيء عجاب!

الإنتربول هو نفسه الذي رفض طلبا مصريا من قبل بإضافة أحمد منصور إلى قائمته، فما باله هنا يضيف الشيخ القرضاوي! ما هي المعايير التي استند إليها الإنتربول؟ وهل من الممكن أن يتراجع الإنتربول عن قراره؟ ألا يعلم الإنتربول أن الذين يريدون اعتقال الشيخ القرضاوي هم الذين انقلبوا على الشرعية في مصر بالحديد والنار وقتلوا الآلاف من الأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء والرجال ناهيك عن المعذبين والمشوهين والمشردين والمحبوسين في غياهب السجون لا يعلم عنهم أحد. أم أن الإنتربول يريد الانضمام إلى هذه اللعبة؟

يريد الانقلابيون في مصر ومن يناصرهم من العرب وغير العرب أن يحاولوا خنق كل عالم يقول كلمة الحق في وجه الطغاة الظالمين، حتى لا يكون أمام العلماء إلا طريقين اثنين، إما أن يسيروا في الركاب ويتمسحوا بالأعتاب مثل علي جمعة وأحمد الطيب وبرهامي ومحمد رسلان، وإما أن يقفوا على الحياد إن كان عندهم حياء من المشي في الركاب مثل محمد حسان وأبو اسحاق الحويني وعمرو خالد وسالم عبد الجليل، وإن لم ترضى بهذا الطريق ولا ذاك فزأرت بكلمة الحق مثل الشيخ العلامة الموسوعي يوسف القرضاوي أو مثل الشيخ طارق سويدان أو مثل الشيخ وجدي غنيم وغيرهم، فعندئذ يلجأون إلى محاولة خنقك، فإما أن يمنعوك من السفر كما منعوا الشيخ سلمان بن فهد العودة حفظه الله، وإما أن يعتقلوك كما اعتقلوا الشيخ محمد العريفي حفظه الله والذي خرج من السجن قبل يومين ولله الحمد، وإن لم يتمكنوا من هذا ولا ذاك لجأوا إلى وسيلة خنق أخرى وهي الإنتربول، فهناك 192 دولة حول العالم لها اتفاقيات مع الإنتربول، وذلك حتى يمنعوك من الذهاب إلى أي مكان إلا قطر وتركيا اللتين نحييهما على هذا الوقوف الصامد مع الحق في كل مكان، وتحملهما للضغوط من هنا وهناك.

كل هذه المحاولات ستبوء بالفشل أيها الأخوة، يريدون أن يطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره. فهم بملاحقتهم للشيخ القرضاوي يحاربون الإسلام، هذا الدين الذي يدافع عنه هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين يقولون كلمة الحق ولا يخافون في الله لومة لائم.

لقد تابعت كل خطبة من خطب الجمعة للشيخ القرضاوي من أول يوم بدأت فيه الثورات العربية حتى آخر خطبة للشيخ، ولم أجده يحرض على العنف في أي جملة قالها، بل كان دائما يأكد على السلمية، وقد أثنى الشيخ القرضاوي على كلمات مرشد الأخوان في مصر محمد بديع فك الله أسره، عندما قال المرشد في رابعة العدوية بأن "ثورتنا سلمية، وستظل

سلمية، سلميتنا أقوى من الرصاص"، نعم قالها المرشد الذي رأيناه في الميدان وأزيز طائرات الهليكوبتر فوق رأسه، نعم قالها المرشد وأكدها الشيخ القرضاوي. لم يدعو الشيخ القرضاوي إلى العنف، وإنما دعا إلى مواجهة الظلم بالمظاهرات السلمية، لقد أكد الشيخ القرضاوي في خطب الجمعة بأن الناس في رابعة العدوية كانوا سلميين فليس معهم عصا ولا حجر ولا مدفع ولا أي شيء، وقد أكدت ذلك كل الصور التي كانت تبث من هناك على مدار الساعة، وقد أكد ذلك أيضا جميع الوفود الدولية الذين زاروا الميدان. ولكن للأسف تبقى هناك فئة من المصريين الذين لا زالوا يصرون على الانغلاق على القنوات المصرية التي لا تبث إلا رأيا واحدا للأحداث، لا بد لهؤلاء أن يشاهدوا تلك القنوات التي تعرض الرأي والرأي الآخر حتى يحكموا عقولهم في الاختيار، لقد عرض القرآن الكريم كلام الحق الناصع وذكر أكاذيب أهل الباطل ولكن رد على أكاذيبهم بكلام يدخل الألباب والعقول، فأرجو من كل من أغلق عقله على قنوات الرأي الواحد أن يسمع لتلك القنوات التي تعرض الرأي والرأي المخالف، ولكن تلك القنوات المصرية تخشى الرأي الآخر حتى لا تكشف عورتها، فهي قنوات لا تقوم إلا على الافتراء والزور ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد أكد الشيخ القرضاوي على سلمية الاحتجاجات وأن كل الثورات العربية بدأت في أساسها سلمية بما فيها الثورة السورية، ولكن مع طول المدة التي استخدم فيها النظام السوري العنف والإرهاب ضد شعبه والشهور الطويلة التي مرت على قصف المنازل وانتهاك الحرمات واغتصاب الفتيات وتشويه الأطفال وإبادة الأحياء، اضطر الشرفاء من الجيش السوري إلى الانشقاق وتكوين ما يعرف بالجيش السوري الحر، وهنا قام الشيخ القرضاوي بتأييد ذلك، فهذا ليس هو الإرهاب، فمتى كان الدفاع عن شرف النساء الطاهرات إرهابا! ومتى كان الدفاع عن الأطفال إرهابا! ومتى كان الدفاع عن النفس إرهابا!

الشيخ القرضاوي هو إنسان صاحب قلب رحيم، فلا يمكن أن يرى ذلك ويصمت أو ينسحب، فكيف إذا كان معه من آيات القرآن العظيم وأحاديث السنة الصحيحة ما يؤيد كلامه ويقيم الحجة. لقد أكد الشيخ القرضاوي بأن الوضع في مصر لن يصل إلى ما آلت إليه الأمور في سوريا، ولكنه دعا أفراد الجيش المصري إلى عدم الانصياع إلى أوامر القتل، فروحك أيها الجندي ليست أغلى من روح أخيك الذي تريد قتله. كما دعا المصريين إلى الاستمرار في الصمود والتظاهر السلمي وأن يكونوا يدا واحدة لكسر شوكة الطغيان.

لا بد لهذه الغمة أن تزاح عن الأمة، فقد فضح الله سبحانه وتعالى هؤلاء الانقلابيين بهذه التسجيلات المسربة التي تخرج لنا بين الحين والآخر، ولا يدري هؤلاء بأن الدائرة تدور عليهم، وأن كل هذه التسريبات سوف تكون أدلة ضدهم في المحاكم غدا إن شاء الله، وذلك عندما يرجع الأمر إلى الشعب ويزول هذا الانقلاب الإرهابي. وسنصلي خلف شيخ الإسلام الإمام المجدد يوسف القرضاوي في ميدان التحرير بعد أن تنجلي هذه الغمة إن شاء الله.

قال تعالى: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

العلامة القرضاوي فقيه ثائر قبل ثورات الربيع العربي

يعتقد بعض الناس بأن العلامة يوسف القرضاوي لم يجرؤ على انتقاد النظام السوري ونظام حسني مبارك والنظام المخلوع في تونس إلا بعد قيام ثورات الربيع العربي، ولكن هذا ليس صحيحا. فيا أيها القارئ الحبيب، ليس كل ما لا تعرفه يكون معدوما وغير موجود، بل لا بد من التعمق في القراءة والاطلاع لمعرفة الحقيقة حتى تتبين بأن الشيء كان موجودا من قبل ولكنه كان مجهولا لمن لا يعلمه فقط.

عندما قرأت صفحات من مذكرات الشيخ القرضاوي (في أجزائها الثلاثة الأولى التي تم نشرها قبل أن يبدأ الربيع العربي بفترة طويلة)، اكتشفت أشياء جديدة لم أكن أعرفها. فكتب الشيخ في مذكراته عن معاناته في السجون المصرية وكيف أنه سجن مرتين وتم تعذيبه، وبالرغم من ذلك كله لم يرضخ لهم. وكان الشيخ القرضاوي مطلوبا من نظام جمال عبد الناصر، ولكن رفضت قطر تسليمه، ثم سحب منه الجواز المصري، وبعد فترة أعطته قطر جواز سفرها حتى يتمكن من السفر إلى المؤتمرات والندوات العالمية. وكان يتم إيقاف الشيخ القرضاوي لمدد طويلة في مطار القاهرة أيام حسني مبارك لكي يتم التحقيق معه كلما أراد زيارة مصر في إجازاته الصيفية. وكتب في مذكراته كيف أنه رفض الإلحاح المصري من أعلى المستويات بأن يظهر في برنامج ديني على التلفزيون الحكومي قائلا لهم بأنه لا يقبل أن يقوموا بتحسين صورتهم به، ناصحا لهم بأنه إن أرادوا فعلا تحسين صورتهم فلا بد لهم من إخراج المعتقلين من السجون وإيقاف المحاكمات الظالمة، وإفساح المجال للإخوان المسلمين للعمل بحرية، وإيقاف الخلاعة والمجون التي تظهر على التلفاز، وأن يسمحوا للإعلاميات المحجبات بالظهور.

كما كتب الشيخ القرضاوي في مذكراته أنه كان ممنوعا من دخول سوريا كداعية إسلامي، فدخلها أول مرة متخفيا باسم "عبد الله المصري"، ودخلها مرة ثانية - بعد سنوات - باسمه الحقيقي، ولكن كسائح قطري وليس كداعية إسلامي، ولم يسمح له بدخول سوريا كداعية إسلامي حتى عام 2003 حيث تم السماح له لحضور مؤتمر إسلامي. وكتب الشيخ في مذكراته أيضا انتقاده لحزب البعث في سوريا واصفا إياه بأنه حزب ظالم وطاغي، وأنه حزب لا علاقة له لا بصلاة ولا مسجد. قرأت ذلك في الأجزاء الثلاثة الأولى من المذكرات والتي تم نشرها قبل الربيع العربي بفترة طويلة.

وكان الشيخ القرضاوي يرفض دخول العراق أيام حكم حزب البعث وذلك رفضا منه للظلم والبطش والقهر الذي كان يمارسه ذلك النظام، فكان لا يذهب للمؤتمرات التي تقام في العراق. كما وقف الشيخ القرضاوي بحزم ضد احتلال صدام حسين للكويت، وكان موقفه واضحا في خطب الجمعة، وبالإمكان أيضا الرجوع إلى موقفه من تلك الأحداث في كتابه الرائع "فقه الجهاد".

وفي الجزء الرابع من مذكراته والتي تم نشرها في 2011 نشر الشيخ القرضاوي رسالته المفتوحة الشديدة اللهجة التي كان قد وجهها إلى حسني مبارك عام 1990، والتي نبه فيها على المظالم التي تقع في مصر وكتب الشيخ في نهايتها أن الله سبحانه وتعالى قد انتقم من فرعون الكبير فما بالك بفرعون صغير.

كما أنني رأيت الشيخ القرضاوي وهو يهاجم النظام المصري بقوة من فوق المنبر في خطبة الجمعة أيام بناء ما يعرف بالجدار الفولاذي بين مصر وقطاع غزة. وما زال بالإمكان الرجوع إلى تلك الخطبة على اليوتيوب تحت عنوان: "القرضاوي خطبة الجمعة 01-01-2010 الجدار الفولاذي".

كما سمعته في برنامج الشريعة والحياة على قناة الجزيرة وهو يقول بأن الواجب الشرعي على مصر أن تقاتل دفاعا عن غزة، وما زال بالإمكان الرجوع إلى تلك الحلقة على اليوتيوب تحت عنوان: "رد الشيخ القرضاوي على فتوى الأزهر".

كما رأيت الشيخ القرضاوي في خطبة الجمعة التي بثتها فضائية قطر على الهواء مباشرة - أيام فضيحة غولدستون - وهو يقول من فوق المنبر بأنه لو صحت الاتهامات الموجهة إلى رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس فإنه لا يستحق الإعدام فقط وإنما يستحق أن يرجم. وما زال بالإمكان الرجوع إلى هذا الفيديو في اليوتيوب تحت عنوان: "العلامة الشيخ القرضاوي والرد على محمود عباس".

كما انتقد الشيخ القرضاوي أيضا النظام في تونس والنظام في تركيا (العلماني في ذلك الوقت) في كتابه "التطرف العلماني في مواجهة الإسلام: تونس وتركيا نموذجا" والذي صدر قبل الثورات العربية بمدة طويلة.

ولقد قرأت في إحدى فتاوى الشيخ القرضاوي (التي نشرت عام 2006 أي قبل ثورات الربيع العربي بسنوات) أنه ذكر ثلاثة طرق لتغيير المنكر باليد في هذا العصر إن كان

ذلك المنكر من جانب الحكومات، وذكر الطريقة الثالثة وهي قوة الجماهير الشعبية العارمة، فقال بالحرف: " قوة الجماهير الشعبية العارمة التي تشبه الإجماع، والتي إذا تحركت لا يستطيع أحد أن يواجهها، أو يصد مسيرتها؛ لأنها كموج البحر الهادر أو السيل العرم، لا يقف أمامه شيء، حتى القوات المسلحة نفسها؛ لأنها في النهاية جزء منها، وهذه الجماهير ليسوا إلا أهليهم وآباءهم وأبناءهم وإخوانهم". وبالإمكان الرجوع إلى هذه الفتوى من خلال موقعه على الإنترنت https://www.al-qaradawi.net تحت عنوان "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

ورأينا الوقوف الشجاع للشيخ القرضاوي ضد الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان. وللدلالة على مدى صلابة وشجاعة موقفه من الاحتلال الأمريكي أرجو الرجوع إلى خطبة الجمعة التي خطبها الشيخ القرضاوي في 14مارس 2003م، وتلك الخطبة منشورة في الجزء السادس من كتاب "خطب القرضاوي"، كما يمكن الرجوع إلى تلك الخطبة في اليوتيوب تحت عنوان: "الإمام القرضاوي : لا أخاف الاغتيال بل أتمنى الشهادة ختاما لحياتي".

أما ما يقوله البعض من أن الشيخ القرضاوي كان يقابل الزعماء العرب بالمودة والثغر الباسم، فإن ذلك كان من باب النصح لهم وليس من باب التزلف والنفاق وطلب الدنيا والمناصب، فالشيخ القرضاوي لم يترك كلمة حق يجب أن تقال لحاكم إلا وقالها، وكان له مواقف مع القذافي (قبل الربيع العربي) شهد به تلاميذه الحاضرون ومنهم الشيخ عصام تليمة، وسجل الشيخ تلك المواقف في مذكراته.

كما رأينا كيف أن الشيخ القرضاوي حفظه الله وقف وقفة عالم يخاف على أمته عندما طاف مع أخوانه العلماء في الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين (والذي يرأسه الشيخ القرضاوي) على الزعماء العرب أيام حرب غزة 2009 لينصحوا الحكام بأن يقوموا بواجبهم تجاه غزة، ورأينا كيف أن حسني مبارك لم يستقبلهم. وبعد الجولة بأيام ظهر الشيخ القرضاوي في برنامج الشريعة والحياة يتكلم عن تلك الجولة وقال لنا كيف أن العلماء تكلموا بقوة أمام ملك السعودية لدرجة أن بعض الحضور في اللقاء اندهشوا من جرأة العلماء في التكلم مع الحاكم. وسمعت الشيخ القرضاوي أيضا في إحدى حلقات الشريعة والحياة وهو يتكلم عن تلك الجولة ويعقب على زيارة العلماء إلى الزعماء العرب قائلا: "لقد أسمعت لو ناديت حيا، ولكن لا حياة لمن ينادي".

والبعض يعترف بذلك كله، ولكنهم يزعمون بأن الشيخ القرضاوي لم يجرؤ قط على انتقاد سياسة قطر، ولكن ذلك ليس صحيحا، فعدم علمهم بالشيء لا يعني عدم وجوده ولكن يعني عدم اطلاعهم. فالشيخ القرضاوي انتقد قطر على استضافتها لبيريز المجرم، فعندما قام أمير قطر بمصافحة بيريز، قام الشيخ القرضاوي على المنبر في خطبة الجمعة في العاصمة القطرية الدوحة والتي يبثها التلفزيون القطري وأيضا إذاعة قطر على الهواء مباشرة، قام بانتقاد قطر على هذه الاستضافة وقال بصوت عال: على الذين صافحوا بيريز أن يغسلوا أيديهم سبع مرات إحداهن بالتراب. كما انتقد قطر على استضافتها للقواعد الأمريكية، كما أعرب أيضا عن رأيه ذلك في لقاء تم معه على قناة الBBC وما زال بالإمكان الرجوع إلى هذه الحلقة في اليوتيوب تحت عنوان: "الشيخ القرضاوي يدين وجود القواعد الأمريكية في قطر". ويمكن الرجوع إلى رأيه عن القواعد الأمريكية الموجودة في الخليج وذلك في كتابه فقه الجهاد والذي صدر قبل ثورات الربيع العربي، كما انتقد قطر على استضافتها لليهود في مؤتمر حوار الأديان وقد قاطعه الشيخ القرضاوي لذلك السبب.

وقد كتب الشيخ القرضاوي (قبل ثورات الربيع العربي) أكثر من كتاب في الرد على الفكر العلماني، وتلك الكتب هي: الإسلام والعلمانية وجها لوجه، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام (تونس وتركيا نموذجا)، بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين، أعداء الحل الإسلامي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا.

كما كتب الشيخ (قبل ثورات الربيع العربي) أكثر من كتاب في علاقة الدين بالسياسة وفي مفهوم الدولة الإسلامية المنشودة، ومن تلك الكتب: الدين والسياسة، نحن والغرب، الإسلام والعنف، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، درس النكبة الثانية، من فقه الدولة في الإسلام، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القدس قضية كل مسلم، وكتابه الموسوعة "فقه الجهاد".

وقبل أن تبدأ الثورات العربية كان الشيخ القرضاوي – ولا زال – ممنوعا من دخول عدد من الدول، وتلك الدول هي: أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا وسويسرا والإمارات.

تلك هي مواقف شيخ الإسلام يوسف القرضاوي من قبل أن تبدأ ثورات الربيع العربي، وما زال الشيخ على ذلك المنهج الرباني لم ولن يتغير، قال تعالى: "الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا" (سورة الأحزاب، الآية 39).

فحتى بعدما بدأت ثورات الربيع العربي ثبت الشيخ القرضاوي على مبدئه وعلى دينه، فلم يبع دينه بعرض من الدنيا كما فعل آخرون، ففي بداية أيام الثورة السورية حاول الشيخ من خلال خطب الجمعة - التي كانت تبث على الهواء مباشرة - أن ينصح بشار الأسد بالحكمة والموعظة الحسنة فلم يستجب بشار، بل على العكس زاد بشار الأسد قمعا وإجراما، فما كان من الشيخ القرضاوي إلا أن صعد من اللهجة واصفا بشار ونظامه بما يستحقون من أوصاف.

الشيخ القرضاوي ما زال ثابتا على موقفه ولم ولن يتنازل عن الحق أبدا، ولن يبيع دينه لإرضاء زيد أو عمرو من الناس. وبالإمكان متابعة آراء الشيخ من خلال موقعه على الإنترنت ومن خلال موقع الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وليس من خلال المواقع الصفراء على الإنترنت التي تمتهن نشر الشائعات من هنا وهناك.

فبارك الله في الشيخ القرضاوي هذا العالم الجليل الذي أصبح شيخا للإسلام في هذا العصر وما سبقه من العصور.

اللهم احشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء الربانيين، واحشرنا مع شيخ الإسلام يوسف القرضاوي العالم الرباني الذي يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، وحسن أولئك رفيقا.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

بعض الأسئلة الشائعة التي دائما ما نسمعها على ألسنة من يهاجمون شيخ الإسلام يوسف القرضاوي حفظه الله، مع أجوبة مركزة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

سؤال رقم 1: يسأل البعض، لماذا أجاز الشيخ القرضاوي الخروج على حسني مبارك ولم يجز الخروج على محمد مرسي، أليس في هذا تناقض في منهجية التعامل مع الحكام؟

الجواب:

بكل بساطة حسني مبارك أخذ فرصة 30 عاما ولم يعمل شيئا بل كان عميلا صهيونيا وانتشرت المظالم في مصر.

أما محمد مرسي فلم يكمل عاما واحدا حتى أسقطه العسكر، وحتى خلال عام حكمه لم يتركوه يعمل بل أجمعوا عليه المصائب من كل جانب، ومحمد مرسي كان حافظا للقرآن عاملا به ودافع عن غزة وفلسطين وسوريا وحشد العلماء لذلك.

فكيف نقارن هذا بذلك .

ثم إن الخروج على الحاكم لا يجوز، سواءا كان مبارك أم مرسي، لأن الخروج ممنوع عند الفقهاء ويقصد به الخروج المسلح، فهذا ممنوع لما فيه من محاذير وفتن.

أما المظاهرات السلمية فليس هي ما قصده الفقهاء عندما منعوا الخروج على الحاكم.

والشيخ القرضاوي حفظه الله لا يجيز الخروج بهذا المعنى، وإنما أجاز المظاهرات الشعبية السلمية التي تكون نتيجة مظالم كبيرة متراكمة عبر سنوات طويلة وفي حال انسداد أفق الإصلاح

==

سؤال رقم 2: يسأل البعض، لماذا حرض الشيخ القرضاوي على قتل القذافي، أليس هذا مخالفا لمنهج الشيخ في تعامله مع الحكام الآخرين؟

الجواب:

القذافي دمر وقتل ما الله به عليم.

والحاكم الذي يقتل شعبه بهذه البشاعة والوحشية يفقد شرعيته، وكان القذافي حالة استثنائية فقد كان يتجه لإبادة جماعية في بنغازي، ولولا تدخل الناتو بعد الله لدخل القذافي إلى بنغازي واغتصب النساء وأباد كل شيء كما فعل في مدن أخرى.

==

سؤال رقم 3: يتساءل البعض، لماذا أجاز الشيخ القرضاوي الربا تحت دعوى الضرورة والحاجة، ألا يعلم الشيخ بأن الله تعالى حرم الربا تحريما قاطعا في القرآن والسنة؟

الجواب:

الشيخ القرضاوي معروف باستقامته وعلو كعبه في العلم، ومن يستمع له ويقرأ كتبه يعلم ذلك، أما من يستمع لمقاطع عدائية ضد الشيخ ولا يقرأ كتبه ولا يستمع له بإنصاف لن يفهم الشيخ.

هناك قاعدة معروفة لكل دارس للفقه الإسلامي اسمها قاعدة الضرورات تبيح المحظورات، وقاعدة أخرى تكملها وهي أن ما أبيح للضرورة يقدر بقدره، وقاعدة أخرى هي أن الحاجات تنزل منزلة الضرورات خاصة كانت أم عامة، وقاعدة أن ما حرم لذاته (كالخمر والخنزير) لا يباح إلا للضرورة (ضرورة الموت والهلاك)، وأن ما حرم سدا للذريعة (كلبس الحرير للرجال وإيكال أي إعطاء الربا) يباح للحاجة (حاجة العنت والمشقة الشديدة)، وأن هناك أشياء لا تباح بأي حال من الأحوال تحت أي ظرف من الظروف: كأكل (أي أخذ) الربا والزنا والزواج من الأم أو الأخت أو البنت أو العمة أو الخالة

والتفصيل في ذلك يطول، ولكن السطحيين من الناس يتجرؤون على القامات العالية التي لو أنفقوا كل عمرهم ما وصلوا إلى عشر معشار منها

==

سؤال 4: يسأل البعض، لماذا أنتم تدافعون عن الشيخ القرضاوي دائما، أليس هذا التزام بشخص، لماذا لا تدافعون عن الإسلام بدلا من الالتزام بمذهب واحد وحزب واحد وشخص واحد، لماذا لا تأخذون من كل المذاهب وكل العلماء بدلا من الأخذ من عالم واحد فقط؟

الجواب:

أيضا أنا لا أتبع لأي حزب لا حزب الأخوان ولا حزب التحرير ولا من سيمون أنفسهم في هذا العصر بالسلفيين ويزعمون أنهم الفئة الوحيدة الناجية.

ولا ألتزم بمذهب واحد فقط، فأنا لست في درجة علمية في الشريعة تمكنني من ذلك، بل أنا إنسان عامي بالنسبة للعلماء، والإنسان العامي بحسبه أن يتبع من العلماء من يثق في دينهم وعلمهم، وأنا والحمد لله من تلاميذ ومحبي الشيخ القرضاوي الذي أثق بدينه وعلمه، ولكن لا أتبع الشيخ القرضاوي بدون تفكير، بل لي عقل أفكر فيه، واقتنعت بمنهجه وفتاويه عن قناعة وليس عن مجرد تقليد واتباع أعمى، والعبرة في الدليل والحجة وليس بكثرة المخالفين لك، ودفاعي عن الشيخ لا ينبع من مجرد كوني تلميذ للشيخ بل ينبع في الأساس من أنني أكره الظلم، وما أكثر الناس الذين ظلموا هذا الشيخ وأساؤوا فهمه، وهذا الشيخ لا أنكر أن له أعداء من العلماء، ولكن ليس كل عالم هو عالم حقا، فهناك علماء السلطان وعلماء العامة وعلماء يتبعون أهوائهم .

هناك الكثير من العلماء الربانيين والدعاة الذين أثنوا ثناءا حسنا على الشيخ حفظه الله، منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد الغزالي رحمه الله، وعلي محيي الدين القرة داغي، وسلمان العودة، وعلي العمري، وعصام البشير، ومحمد الصغير، وأحمد الريسوني، وأكرم كساب، وعصام تليمة، والصابوني، ووهبة الزحيلي، وعمر عبد الكافي، وزغلول النجار، وعبد الله نهاري، ومحمد الحسن الددو، ومحمد مختار الشنقيطي، ومصطفى الزرقا، وإسماعيل هنية، وخالد مشعل، وراشد الغنوشي، وطارق سويدان وغيرهم الكثير.

الشيخ القرضاوي حفظه الله لا يمثل شخصه فقط، بل يمثل تيارا واسعا عريضا هو تيار الوسطية الإسلامية والتجديد، وما أكثر أدعياء الوسطية والتجديد في هذا العصر، وهنا

يأتي أهمية الدور البارز الذي قام به الشيخ القرضاوي في تحديد المصطلحات والمفاهيم وتفصيل ما يجب تفصيله وبيانه، وذلك في كتبه التي زادت عن ال 200 كتاب شملت جميع جوانب الفكر والفقه الإسلامي، والتي ستصدر قريبا في موسوعة تصل إلى 113 مجلد.

وكلنا والحمد لله من أهل السنة والجماعة، وكم أتمنى لو نركز جهودنا واهتمامنا على ما يجمعنا، وما أكثر ما يجمعنا. وألا نركز جهودنا واهتمامنا على ما يفرقنا ويشتتنا ويوغر صدورنا.

==

سؤال رقم 5: يسأل البعض، ماذا عن الفتوى التي شارك بها الشيخ القرضاوي بخصوص جواز مشاركة الجندي المسلم الأمريكي مع الجيش الأمريكي في الحرب على أفغانستان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أليس ذلك استباحة لدماء المسلمين، أليست هذه الفتوى لإرضاء أمريكا والغرب ولإرضاء الحكام؟ هل تتبعون الشيخ القرضاوي اتباعا أعمى بغض النظر عن كل شيء؟

الجواب:

الشيخ القرضاوي تاريخه يشهد له بأنه لم ينافق حاكما في حياته.

والفتوى التي شارك بها الشيخ بخصوص جواز مشاركة الجندي المسلم الأمريكي في الحرب في أفغانستان لم أقتنع بها وتمنيت من كل قلبي أن يتراجع عنها، ثم تراجع الشيخ عن هذه الفتوى تراجعا نهائيا ففرحت كثيرا.

ثم أصدر الشيخ كتابه الجميل "الفتاوى الشاذة" الذي بين فيه المعايير التي نحكم بها على الفتاوى بالشذوذ، وذكر فيه بعض الفتاوى الشاذة لبعض العلماء مع رده عليها، وذكر الفتوى التي شارك فيها بخصوص مشاركة الجندي الأمريكي المسلم في حرب أفغانستان، ذكرها ضمن الفتاوى الشاذة، وبين أن سبب مشاركته بهذه الفتوى هو ثقته بمن أرسلها له، أي ثقته بالعالم الأصولي المعروف طه جابر العلواني (الذي يعيش في أمريكا ويرأس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن) ومحمد سليم العوا وفهمي هويدي وطارق البشري، فوصلت له الفتوى لأخذ رأيه بها، حيث أوصلوا للشيخ فكرة مبالغ فيها عن الواقع الأمريكي وأن المسلمين في أمريكا إن لم يشاركوا فستقع عليهم في الشوارع مجازر شبيهة بمجازر البوسنة والهرسك، فكتب عليها شرطا هو ألا يشارك الجندي المسلم بالقتال وإنما يبقى في المطابخ الخلفية، أي يذهب إلى الحرب مع الجيش الأمريكي ولا يكون في الصفوف الأمامية ولا يباشر القتال بنفسه، ثم تبين للشيخ أنه قد أساء فهم الواقع الأمريكي على حقيقته وأن الجندي المسلم بإمكانه الاعتذار عن المشاركة في حرب لا ترضي دينه وضميره، فتراجع الشيخ عن الفتوى تراجعا تاما.

يعني قصدي أريد أن أؤكد أن هذه الفتوى التي شارك بها الشيخ القرضاوي لم تكن بسبب نفاق أو إرضاء لحاكم، وإنما كانت بسبب عدم فهم الواقع على حقيقته، وهذا المعيار (عدم فهم الواقع على حقيقته) أحد معايير الشذوذ التي ذكرها الشيخ ضمن معايير شذوذ الفتاوى، في كتابه القيم الفتاوى الشاذة.

بالمحصلة، لم أقتنع بالفتوى منذ البداية، فأنا بحمد الله لا أتبع الشيخ القرضاوي مجرد اتباع وتقليد أعمى بغض النظر عن كل شيء، بل أتبعه عن قناعة لأن لي عقل أفكر به، وهذا دليل عدم التعصب، فكما قال الإمام علي كرم الله وجهه: لا تعرف الحق بالرجال وإنما إعرف الحق تعرف أهله.

وأنا مقتنع بمنهج الشيخ القرضاوي وفتاواه، ولكن هذه الفتوى الوحيدة للشيخ التي لم أقتنع بها، والحمد لله أنه تراجع عنها، وهذا يدل على أن الشيخ يرجع إلى الحق بكل جرأة

وصراحة متى تبين له الصواب ولا يكابر ولا يصر على الخطأ، وهذه ميزة العلماء الحقيقيين.

==

سؤال رقم 6: يسأل البعض، لماذا وقف الشيخ القرضاوي ضد بشار الأسد، ووقف مع الثورة في سوريا، بل وقف على المنبر يدعو أمريكا للتدخل ويشكرها كما هو ظاهر في عدد من خطب الجمعة التي يوجد منها مقاطع مجتزئة انتشرت على اليوتيوب؟

الجواب:

نعم هذه الخطب كلها شاهدتها في وقتها، أذكرها جيدا لم أنساها، ولكنني حضرت كل خطبة كاملة من أول كلمة في الخطبة حتى آخر كلمة، وهكذا بالنسبة لكافة خطب الشيخ منذ أول يوم بدأت فيه ثورات الربيع العربي حتى آخر خطبة للشيخ.

أي أنني لم أحضر المقاطع مجتزئة كما فعل الكثيرون ممن أساؤوا فهم الشيخ وأساؤوا الظن به، بل حضرت الكلام بكامل سياقه قبل أن يقوم عبيد بشار الأسد بتقطيع الكلام واجتزائه من سياقه.

إن فهم الكلام مجتزئا من سياقه يؤدي إلى سوء الفهم وسوء الظن.

لم أجد في خطب الشيخ مديحا لأمريكا، بل كان يتمنى الشيخ أن تقف أمريكا وقفة مع الحق ضد الباطل.

وكلنا كنا نتمنى أن تتدخل أمريكا أو الناتو لإيقاف مجرم الحرب بشار عند حده، كما فعل الناتو مع مجرم الحرب القذافي.

بشار هو أكبر متآمر على سوريا وشعبها، كنا نصدق أنه مع فلسطين فإذا به ينهش شعبه بيديه وأسنانه بلا رحمة، وبقسوة وظلم فاق الظلم الإسرائيلي بالشعب الفلسطيني.

كنا نصدق أن بشار مع فلسطين، ولكن بعد أن انفضح وانكشف هل نبقى نؤيده؟

مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون.

==

سؤال رقم 7: يسأل البعض، لماذا أفتى الشيخ القرضاوي بقتل البوطي، أين الوسطية إذن، كيف يفتي بقتل عالم من العلماء؟

الجواب:

الشيخ القرضاوي لم يفتي بقتل البوطي على التعيين، وإنما أفتى بقتل من يقاتل مع النظام الظالم الذي يقتل الشعب، وكل الدلائل تشير إلى تورط النظام السوري بقتل البوطي رحمه الله.

الشيخ البوطي الذي وقف يدافع عن النظام حتى آخر خطبة خطبها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله له المغفرة والرحمة.

وقد انتشر مقطع للشيخ القرضاوي على اليوتيوب بعنوان "فتوى القرضاوي التي قتلت البوطي"، وصدق كثير من الناس العنوان ولم يفهموا فحوى الكلام، فقد ضبط الشيخ القرضاوي كلامه في ذلك المقطع بقوله في النهاية "كل من يقاتل علينا أن نقاتله."

في الإسلام لا نقاتل إلا من يقاتل.

ولكن ما المقصود بكلمة "من يقاتل"، هل هو فقط من يباشر القتال بنفسه؟

"من يقاتل" تشمل من يباشر القتال بنفسه وتشمل كذلك الوقود الذي يؤجج الحرب، وهذا الوقود هو:

-رئيس دولة يأمر بشن الحرب.

-عقل مخطط يعطي الخطط للقتال.

-مهندسين يقومون على صيانة الأسلحة وتجهيزها.

-مفتي يقوم بتبرير الحرب بفتاوى تعطي رئيس الدولة الشرعية في الاستمرار في الحرب.

وقد كان الشيخ البوطي وقودا للحرب بتأييده للنظام الذي سحق الثورة الشعبية السلمية بالدبابات والبراميل المتفجرة وقتل النساء والأطفال والشيوخ والرجال واعتقل من اعتقل وعذب من عذب واغتصب من اغتصب من حرائر سوريا الطاهرات وقتل حوالي نصف مليون إنسان وشرد الملايين في مأساة كبرى ما زلنا نرى شواهدها حاضرة إلى اليوم بعد حوالي 10 سنوات على بدء الثورة.

علما بأنها استمرت ثورة شعبية سلمية لمدة 8 أشهر قبل أن يجبرها مجرم الحرب بشار على التسلح لحماية أعراضها وحرماتها بعد إمعان بشار المجرم في القتل والقصف والإجرام وتسليط أرذل القوم (الشبيحة) على خيرة الناس من الشعب السوري المسالم

الأعزل الذي خرج ليطالب بأبسط حقوقه في الحرية والكرامة والحياة الإنسانية الكريمة والعدالة الاجتماعية.

لقد سمعت بنفسي الشيخ البوطي على القناة الرسمية السورية على التلفاز وهو يقول في إحدى خطب الجمعة من فوق المنبر بأن قوله تعالى "تلك الأرض يرثها من عبادي الصالحون" ينطبق على روسيا والصين لأنهما هما الصالحان لوراثة الأرض الآن، قالها البوطي وهو يعلم جيدا أن روسيا والصين هما من ساند النظام المجرم في حربه على شعبه.

ويسأل البعض، لماذا استنكر الشيخ القرضاوي مقتل البوطي وذلك في خطبة الجمعة بعد مقتله، والجواب هو أن الشيخ استنكر الطريقة التي تم بها القتل واستنكر قيام النظام بذلك إذ كل الدلائل تشير إلى قيام النظام بهذه الجريمة، أي أن الشيخ القرضاوي استنكر أن يتم القتل داخل المسجد وهو بيت من بيوت الله وفيه مصلين، فهذه الطريقة تمت من خلال تفجير داخل المسجد وهذا يؤدي إلى قتل البريء بذنب المسيء، وأين، داخل المسجد، فهذا هو ما استنكره الشيخ القرضاوي تحديدا، أي لم يتراجع الشيخ عن فتواه بقتال كل من يقاتل، فلو تم قتل البوطي بطريقة مناسبة لما اعترض الشيخ، ولكن طبعا تأثر الشيخ القرضاوي بمقتل البوطي لأنه يبقى عالما نسأل له المغفرة والرحمة وقد كان البوطي صديقا للشيخ القرضاوي قبل أحداث الثورة السورية، ولكن يبدو أن الشيخ البوطي رحمه الله كان غرا، فكم من عالم في تخصصه أشبه بالعوام خارج اختصاصه، وكان أجدر بالشيخ البوطي أن يتأنى قبل الإنجرار وراء تأييد طاغية.

الذي قال عن البوطي أنه كان غرا هو أستاذ البوطي نفسه الذي درس البوطي، أي أن البوطي تلميذه، وهو الأستاذ الشيخ محمد كريم راجح.

ولتتأكد، اسمعه من هذا الرابط:

https://youtu.be/_Z5CHR-ieDs

رحم الله الشيخ البوطي وغفر له، وكتب بشار في مزابل التاريخ.

الخاتمة

في هذه الصفحات نرجو أن نكون قد أجبنا عن كثير مما يخطر في بال الكثيرين من الناس ممن اختلط عليهم الأمر وظنوا الظنون بالإمام العلامة الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله. فالأمة الحقيقية هي الأمة التي تحترم علمائها وتنزلهم منازلهم، وليست تلك الأمة التي تتهم العلماء الربانيين في دينهم وأمانتهم.

نسأل الله تعالى أن يهدي هذه الأمة وبالأخص شبابها وشاباتها لما فيه خير العمل وصالح القول، قال تعالى: " الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ" سورة الزمر الآية 18.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الفهرس